

أوراق ونقاشات مؤتمر

"التحولات السلفية"

الدلالات، التداعيات والآفاق

FRIEDRICH
EBERT
STIFTUNG

مركز الدراسات الإستراتيجية
الجامعة الأردنية



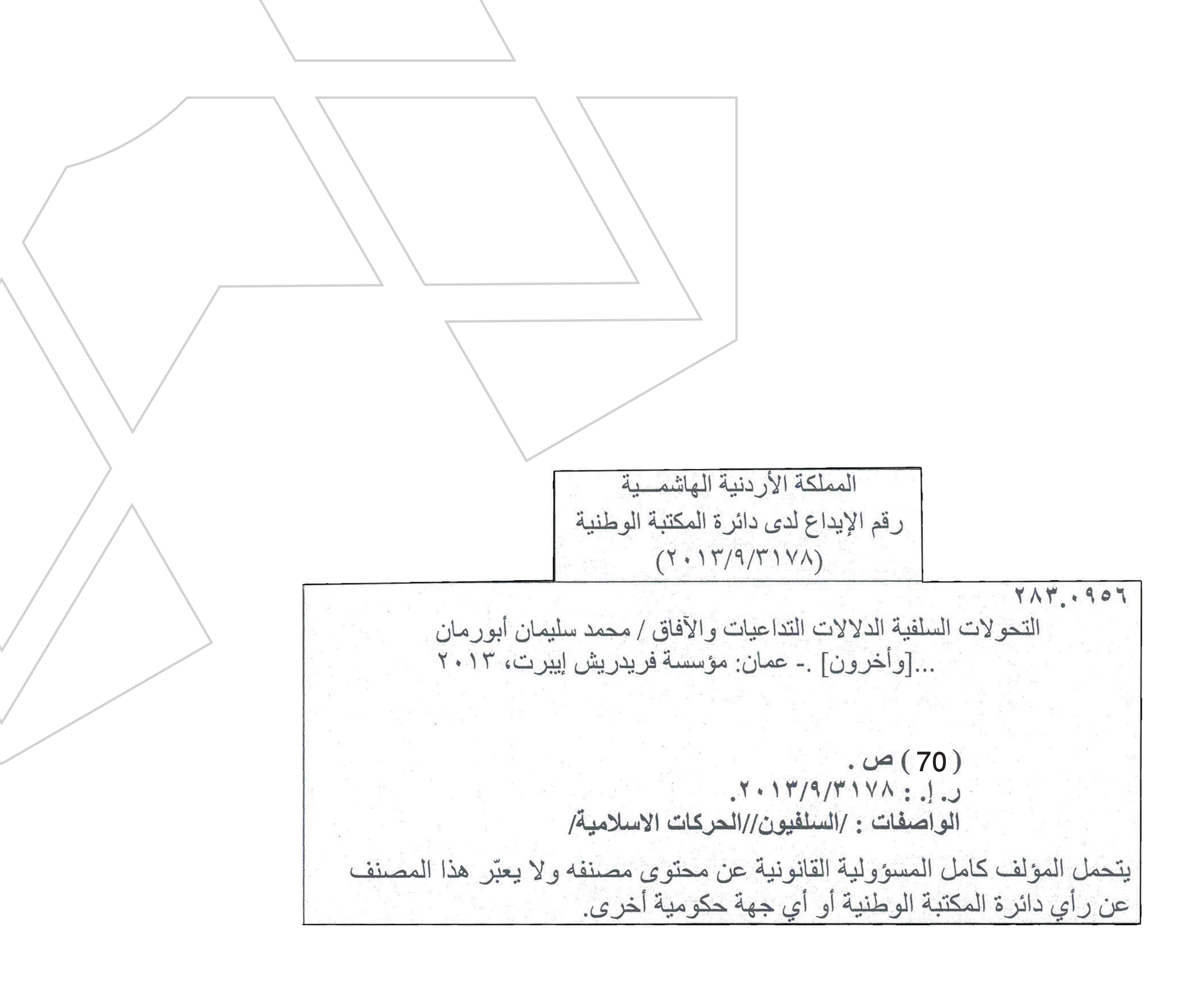
Center for Strategic Studies
University of Jordan

أوراق ونقاشات مؤتمر

"التحولات السلفية"

الدلالات، التداعيات والآفاق

الأول من تموز ٢٠١٣



المملكة الأردنية الهاشمـــية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٣/٩/٣١٧٨)

٢٨٣,٠٩٥٦
التحولات السلفية الدلالات التداعيات والآفاق / محمد سليمان أبورمان
...[وأخرون] .- عمان: مؤسسة فريدريش إيبرت، ٢٠١٣

(70) ص .
ر. إ. : ٢٠١٣/٩/٣١٧٨.
الواصفات : /السلفيون//الحركات الاسلامية/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

نشر عام ٢٠١٣ عن مؤسسة فريدريش إيبرت
مكتب عمان
ص.ب: ٩٤١٨٦، عمان
١١١٩٤ الأردن
www.fes-jordan.org
fes@fes-jordan.org

غير مخصص للبيع

ترجمة: جمانة نوافلة
طباعة: المطبعة الاقتصادية
تصميم: أحمد الجعبري
تحرير: فراس خيرالله
الرقم المعياري الدولي: 978-9957-484-23-1

يتحمل كل كاتب مسؤولية ذاتية عن ماعبر عنه مضمون الجزء الذي كتبه. الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مؤسسة فريدريش إيبرت.

الفهرس



مقدمة

آنيا ڤيلر- شوك
المديرة المقيمة، مؤسسة فريدريش إيبرت/عمان

دون أدنى شك، يعتبر الإسلام السياسي واحد من أهم القضايا المثيرة للجدل و التي نوقشت في منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا. بهدف توفير المعلومات التي تفي بالمعايير الأكاديمية، وفي نفس الوقت تسهيل الوصول إليها وفهمها للقراء غير الخبراء، أطلقت مؤسسة فريدريش إيبرت/ عمان في عام 2007 سلسلة اصدارات حول الإسلام السياسي. منذ ذلك الحين،

نشرت مؤسسة فريدريش إيبرت/عمان ثمانية كتب تم تداولها على نطاق واسع وغطت تيارات مختلفة وميول وتطورات متعلقة بالإسلام السياسي. أحدى الموضوعات والتي تمت متابعتها بأهتمام متزايد ومطرد على خلفية التطورات في جميع أنحاء الشرق الأوسط خلال السنوات القليلة الماضية، هو موضوع الحركات السلفية، وخاصة فيما يتعلق بأجنداتهم السياسية ونفوذهم.

في تشرين الأول2012 قامت مؤسسة فريدريش إيبرت/عمان ومركز الدراسات الاستراتيجية معا بجمع خبراء في مجال الحركات السلفية وكذلك أعضاء من الجماعات السلفية المعتدلة من مختلف الدول العربية لمناقشة التوجهات المختلفة لهذه الحركات نحو الديمقراطية والمشاركة السياسية. وانطلاقا من الأهتمام الأستثنائي الذي حظي به المؤتمر وبما أن هذا الموضوع لا يزال يتمتع بأهمية كبيرة لأرتباطه بالتطورات السياسية في المنطقة بأسرها، واصلت مؤسسة فريدريش إيبرت/عمان ومركز الدراسات الاستراتيجية تعاونهم في هذا المشروع. في تموز2013، ركز مؤتمر ثاني بمشاركة خبراء وسلفيين معتدلين على موضوع التحولات التي مرت بها الحركات السلفية منذ بداية "الربيع العربي" فيما يتعلق بالمشاركة السياسية.

إنه لمن دواعي سرورنا أن نقدم لكم الأوراق النقاشية التي تم جمعها وأعدادها لهذا المؤتمر، وكذلك ملخص للإجراءات والاستنتاجات. كما سنواصل مناقشة هذا الموضوع لأهميته الزمنية ونشكر لكم اهتمامكم في نشاطات ومنشورات مؤسسة فريدريش إيبرت/ عمان.

مقدمة

د. موسى شتيوي
مدير مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية

يعدّ السلفيون في اللحظة الراهنة - على اختلاف وجهاتهم الأيديولوجية وتعبيراتهم المؤسسية والحركية- من أبرز الفاعلين الإسلاميين، في المشهد العربي العام، سياسياً واجتماعياً وثقافياً، بخاصة في حقبة الاحتجاجات الشعبية العربية، التي تنامت وتطوّرت مع بدايات العام 2011، وما تزال حقبتها وتداعياتها إلى اليوم.

وبخلاف جماعات وحركات إسلامية أخرى، لم ينل السلفيون قسطاً وافراً من الدراسات والأبحاث المتخصصة في حقل العلوم الاجتماعية، وما يزال هذا الموضوع حقلاً دراسياً مفتوحاً على جملة كبيرة من الأسئلة والتساؤلات؛ تتعلّق بالأيديولوجيا السلفية وطبيعة الأدوار السياسية والاجتماعية التي يقوم بها السلفيون ورؤيتهم لقضايا حيوية، مثل الديمقراطية والحريات العامة والفردية وحقوق الأقليات والعلاقة بين الدين والدولة وسؤال الفنون والآداب والسلم الأهلي والمجتمعي.

تأسيساً على أهمية هذا الموضوع عُقد المؤتمر السنوي الثاني بعنوان "التحولات السلفية: الدلالات التداعيات والآفاق" (1 تموز 2013) بالتنسيق بين مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية ومؤسسة فريدريش أيبرت في عمان، وكنّا قد تعاونّا سويّاً العام السابق على عقد مؤتمر "السلفيون والديمقراطية"، وذلك لتسليط الضوء على "الحالة السلفية" من جوانبها وأبعادها المختلفة. يضم هذا الكتاب بين دفّتيه وقائع وأعمال مؤتمر "التحولات السلفية" وما فيه من أوراق عمل قيّمة ونقاشات وأوراق خلفية وملخّصات تنفيذية، تتناول جميعاً طبيعة التحولات التي حدثت مع السلفيين خلال حقبة الاحتجاجات العربية، وفي مقدمتها بالطبع التحول نحو العمل السياسي والحزبي والمشاركة في الحياة النيابية والعامة في مصر، وبروز إرهاصات على توجهات مماثلة في دول عربية أخرى، مثل تونس واليمن وغيرها.

يناقش الباحثون والخبراء المتخصصون في هذا الكتاب هذه التحولات وطبيعتها وحجمها وعمقها وأبعادها المختلفة، وتداعياتها على التيارات السلفية نفسها وعلى المجتمعات العربية أيضاً، وعلى المعادلات السياسية، ما تثيره من سجالات ونقاشات مهمة على صعيد القضايا الجدلية والإشكالية.

نطمح أن يمثّل هذا الكتاب والتعاون المثمر بين مؤسستنا البحثية مركز الدراسات الاستراتيجية ومؤسسة فريدريش إيبرت ومديرتها آنيا ڤيلر-شوك قيمة مضافة إلى حقل المعرفة بالحركات الإسلامية عموماً والسلفية خصوصاً.

ملخص تنفيذي

شارك باحثون وخبراء و ممثلون للحركات السلفية من مختلف الدول العربية في المؤتمر الاقليمي الذي انعقد في عمان لغايات فحص و تدقيق التحولات التي شهدتها الحركات السلفية، لا سيما في مرحلة ما بعد الثورات العربية. عُقد المؤتمر في العاصمة الأردنية عمان يوم الاثنين الموافق الاول من تموز لعام ٢٠١٣ تحت عنوان "التحولات السلفيّة: أهميتها، اثارها و تطلُعاتها". و تداول المشاركون والضيوف التحولات و التغيرات التي شهدها النهج السلفي الحالي و موقفه من المشاركة السياسية، مع التركيز على الحركات السلفية في ستة بلدان عربية مختلفة. هذا و قد تم تنظيم المؤتمر من قبل مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية و مؤسسة فريدريش إيبرت.

هدف المؤتمر إلى التفكُّر في تحوّلات الحركات السلفية و الآثار المترتبة على هذه التحولات في الساحة السياسية العربية بطريقة علمية و موضوعية متعمقة؛ بعيدا كل البعد عن المواقف السياسية المؤيدة، أو المعارضة، للحركات السلفية. و ناقش المؤتمر الحركات السلفية في فترة ما بعد الثورات العربية من خلال ثلاثة محاور رئيسيه و هي: وضع الحركات السلفية في ثورات بلدان الربيع العربي (مصر و تونس) و وضعها في البلدان المهدّدة بشبح الطائفية (سوريا و لبنان)، و وضعها في الممالك العربية (المملكة الأردنية الهاشمية و المملكة العربية السعودية).

و عُقد المؤتمر تحت رعاية رئيس مجلس الاعيان الأردني، دولة السيد طاهر المصري، الذي أشار في كلمته الافتتاحية إلى المعنى الأصلي و الحقيقي لكلمة "السلفية" في اللغة العربية، و التي اشتقّت من الفهم الحقيقي و الصحيح للأصول و القواعد الأساسية للإسلام. و قال: 'نحن فخورون بأسلافنا اللذين أسّسوا الحضارة الإسلامية المتقدِّمة و اعتمدوا مبدأ الشورى و الديمقراطية الحقيقية'. كما أشار المصري الى أنّ وجود تصاعد لظاهرة العنف و ممارسة سياسة التكفير من قبل الحركات السلفية، الأمر الذي يتطلب تحليلا مُتعمِّقا للدور المطلوب لعبه من قبل الجماعات الإسلامية. و شدَّد ايضا على ضرورة دراسة أسلوب النبي محمد -صلى الله عليه و سلّم- و السلف لاستخلاص المعنى الصحيح و السليم للدين الإسلامي و كيفية تطبيق احكامه في يومنا الحاضر، والى الحاجة لتأسيس الطابع المدني للدولة و الحفاظ عليه، الأمر الذي يجب ان تأخذه بعين الاعتبار كل الجماعات السياسية بغض النظر عن توجهاتها الأيديولوجية أو الدينية.

و من جانبها، اشادت مديرة مؤسسة فريدريش إيبرت (FES) في الأردن و العراق، السيدة آنيا ڤيلر-شوك، بأهمية المؤتمر و توقيت انعقاده، خصوصا في ظل تزايد الأدوار التي تقوم بها التيارات السلفية في المجالات الاجتماعية و السياسية في الدول العربية. كما و أكدت السيدة أنيا حِرصَ مؤسستها على تقديم المعلومات الكافية عن مختلف الحركات الإسلامية و ذلك من خلال المؤلفات العلمية العديدة التي أنتجها باحثون عرب والتي نشرتها المؤسسة، و أشارت ايضا إلى أن المؤتمر يأتي بعد ما يقرب من عام على إنعقاد المؤتمر الأول في آب/اغسطس ٢٠١٢ و الذي ناقش التأثير السياسي للحركات السلفية، و سلّط الضوء على الحاجة لمزيد من التحليل و المناقشة حول هذا الموضوع.

و لفت الدكتور موسى شتيوي، مدير مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية، الانتباه إلى

التغيرات و التحولات الجديدة في الحركات السلفية في العالم العربي. و شدّد ايضا على طرح أسئلة هامة حول الدور السياسي لهذه الحركات و انعكاساتها على الساحة العربية. و أشار إلى أن هذه التحولات تطرح تساؤلات هامة بشأن الحريات العامة و حقوق الإنسان و الحريات الفردية و غيرها من القضايا الجدلية و الخلافية التي تظهر مع تزايد نفوذ الحركات السلفية في العالم العربي.

النتائج و الاستنتاجات

قدمت الجلسة الختامية للمؤتمر الإقليمي الملخّصات و الإستنتاجات, بالإضافة الى نتائج المداولات بشأن التحوّلات السلفية المقترحة, من حيث أهميتها و اثارها و تطلعاتها, و استخلصت الجلسة بأن العالم العربي, و الاسلامي, يواجهان مظاهر متعددة من السلفية بدلا من مواجهة حركة سلفية متجانسة ذات وجهات نظر و مناهج موحدة. و لم تنبع السلفية من الثورات العربية الأخيرة, فالتيار السلفي و أيديولوجيته وأتباعه موجودون منذ قرون, و مما لا شك فيه, فأن الثورات العربية أتاحت الفرصة للسلفيين ليصبحوا أكثر تأثيرا في المشهد العربي العام. و على الرغم أن هناك بعض التحولات في المنهج السلفي, خاصة فيما يتعلق بالمشاركة السياسية, إلا أنّ المؤتمر قد أكّد بأن مثل هذه التحولات دفعت أيضا بـالأسئلة والمخاوف بشأن الفكر و الأيديولوجية السلفية.

إن التحولات في المنهج السلفي ليست موحّدة بين مختلف التيارات السلفية؛ فلم تشهد كل التيارات هذه التحولات بل كان هناك مستوى كبير من التباين في التحول بين الاتجاهات الأيديولوجية المختلفة و أيضا بين الحركات السلفية في البلدان المختلفة. غير أن المناهج السلفية المختلفة قد تأثرت بالظروف و التحولات السياسية و الاجتماعية الفعلية التي حدثت في البلدان العربية. و كما وضح المؤتمر, فإن مستقبل هذه المناهج يعتمد على ظروف الاستقرار و نضج المناخ السياسي العام في كل بلد.

و من الجوانب الأخرى التي نتجت عن مداولات المؤتمر عدم وجدود تعريفات و تصورات واضحة للمفاهيم الحديثة للديمقراطية, و "مؤامراتها", في العقلية السياسية العربية, و خصوصا التعددية و وسائل العمل السياسي وسط الأيديولوجيات السياسية المتنافسة و المتباينة.

و في الجلسة الختامية برئاسة الدكتور محمد أبو رمان, أكد نبيل عبد الفتاح, من مصر, وصلاح الدين الجورشي, من تونس, على أن السلفيّة تمثّل جزءا هاما من المجتمعات العربية و الاسلامية و لا يجب تجاهلها أو رفضها, بل يجب منحها الحق في التعبير عن نفسها و عن مواقفها و افكارها. فالحركة السلفية هي جزء لا يتجزأ من التركيبة الفكرية و الثقافية و السياسية في العالم العربي, و بالتالي يجب أن يتم معاملتها و التعامل معها باعتبارها عنصرا بُنيويا للعقلية الاجتماعية و السياسية و الدينية. و جاء التأكيد ايضا على أنّ الخيار الوحيد, و الامثل, للعلاقة مع الحركات السلفية هو الحوار الموضوعي الدائم الذي يهدف إلى غرس التفاهم بشأن قواعد المعادلة السياسية التي تحكم جميع الأطراف, سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية.

كما و أكد الجورشي بأن السلفيين, مثلهم مثل أي جماعة أخرى, عُرضة للمشاركة السياسية, و يتأثرون بالمناخ السياسي من حولهم. و كجزء من المجتمع العربي الاسلامي, فإنه ينبغي دمجهم في الحياه السياسية و الاجتماعية, وبغير ذلك فإن أي نهج "لاستعدائهم" و "إبادتهم" سوف يدفعهم للرد بتطرف أكبر. هذا "الفكر المدمر" لن يؤدي إلا إلى تفاقم و تعقيد الأوضاع, مما يؤدي إلى الضعف و الخسارة لجميع الأطراف, بما في ذلك الدولة.

وقال الجورشي: "نريد أن يكون السلفيون جزءا من هذه التحولات من حولنا؛ بدلا من أن يكونوا تهديدا لها". و اضاف بأنّ على السلفيين اتخاذ التدابير اللازمة لتجنب قطع العلاقات مع الرأي العام و القوى السياسية الأخرى, بما في ذلك الاستعداد للاستماع إلى وجهات النظر المختلفة و نبذ العنف.

و من جانبه، أشار عبد الفتاح إلى أهمية تحرير "العقلية" العربية الشاملة والتعامل، وجها لوجه، مع الأيديولوجيات الدينية والسياسية، و التخلص من الميل إلى تشويه صورة الحركة السلفية على أساس النمطية السلبية، اخذين بعين الاعتبار تعدد التوجهات السلفية. كما و أكد على أهمية التحولات المطلوبة في النهج اللغوي و طريقة التعامل الفكري مع الشؤون العامة بين التيارات السلفية. و أشار الى أن التيارات السلفية بحاجة أيضا لتخليص نفسها من النهج التكفيري واللجوء إلى العنف بأشكاله المادية و اللغوية و الرمزية.

و قال عبد الفتاح أن على السلفيين أن يرتقوا إلى مستوى التحديات التي تواجههم، بما في ذلك الوسائل اللازمة لردم الفجوة بين المنهج التقليدي (الفقهي والديني) و بين الواقع المعاصر و التقدمية والظروف والآثار والتعقيدات؛ أي موقفهم تجاه الدولة، و العلاقة مع الدين و الطائفية و الإيديولوجيات الأخرى، مع تفهّم أن هناك تعددية داخل المجتمع في دول مثل مصر ولبنان وسوريا .. الخ. كما و قال أن السلفيين بحاجة أيضا للارتقاء إلى مستوى التحدّي المتمثل في اسلوب العالم المعاصر الحديث و العولمة، و الحاجة إلى العثور على شخصيات و أجيال جديدة و قادمة لتطوير السلفية المعاصرة الفكر على الصعيد الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي، والحاجة إلى تحويل نهجهم من العنف و العسكرية الى المفاهيم المدنية و الأفكار الديمقراطية.

كما انهم بحاجة الى مواجهة التحدي المتمثل في بلورة الرؤية السياسية للتعامل مع القوى السياسية الأخرى والمشاكل الضخمة التي تواجه البلدان عند إعادة بناء و تجديد مفهوم الدولة. و الأهم من ذلك بناء نموذج حقيقي و منصة للتنمية الاقتصادية.

ودعا كل من عبد الفتاح و الجورشي الحركة السلفية إلى اعتماد المزيد من القنوات المفتوحة و الاستماع إلى وجهات نظر و آراء الآخرين، و الاعتراف بأن العمل السياسي يتطلب منطق التنازلات و المرونة الفكرية و السياسية. و الأهم من ذلك كله، الرفض الصريح للعنف بكافة مظاهره المادية والرمزية واللفظية. الحوار، وإيجاد أرضية مشتركة، ونزع فتيل الخطابات، هي النتائج التي توصّل إليها المؤتمر و التي قد تُيسّر اندماج السلفية ضمن الهيكل العام للحياة السياسية العربية.

السؤال الرئيسي الذي لا يزال يتعين الإجابة عليه هو كيفية الاتفاق على صيغة و معادلة للوصول الى أفضل طريقة لإنهاء الخلافات السياسية بطريقة سلمية، و هي المعادلة التي ستجدها مختلف القوى السياسية داخل الساحة العربية، بما في ذلك السلفيين، قابلة للتطبيق. هذا هو السؤال الذي يجب الإجابة عليه و تعتمد اجابته على تطورات و تداعيات التحولات الجارية في العالم العربي ككل. هذا السؤال، وعلى الرغم من أنه موجهة إلى الحركة السلفية على وجه الخصوص، إلا أنه سؤال يطرح نفسه للثقافة السياسية العربية بأكملها على مدى تقبلها الأفكار السياسية لتداول السلطة، والتعددية، والديمقراطية، وغيرها.

السلفيون العرب في لحظة الثورات: التحدي والاستجابة

د. محمد أبو رمان

تمثّل لحظة الثورات الديمقراطية العربية نقطة تحوّل تاريخية في المسار المعاصر العام للتيارات السلفية، إذ قرّرت جماعات وتوجهات سلفية ولوج بوّابة العمل السياسي والحزبي، والمشاركة في النقاشات الإعلامية والثقافية في المجال العام، ابتداءً من المشهد المصري، مروراً بالمشهدين التونسي واليمني.

قبل ذلك كان التيار السلفي بصورة عامة، مع استثناءات قليلة في العالمين العربي والإسلامي، مستنكفاً عن المشاركة السياسية والعمل الحزبي، مركّزاً جهوده على العمل التعليمي والدعوي والتربوي، مع رفض الولوج إلى "اللعبة السياسية" بذرائع وأسباب متعددة ومختلفة.

المرحلة الجديدة لم تكن بلا تكاليف، ففي مقابل المكاسب السياسية والظهور على العلن والبروز الإعلامي، والنفوذ الجديد في المجال العام، بصورة خاصة في دول الربيع العربي، فإنّ هذه الثورات وضعت السلفيين تحت الأضواء، وأصبحوا "موضوعاً" إعلامياً ساخناً، وتصاعد حجم الخصومة السياسية لهم في العالم العربي، والتخويف من مشروعاتهم الاجتماعية والثقافية، ومن أهدافهم السياسية، من جهة أولى.

من جهة ثانية، خلقت الثورات الديمقراطية والتحولات لدى أغلب الاتجاهات السلفية مناظرات وخلافات داخلية كبيرة، حول مشروعية هذه التغيّرات، فالقبول بالديمقراطية واللعبة السياسية وشروطها واستحقاقاتها والاختلافات الجوهرية بين طبيعة العمل الحزبي والدعوي، كل ذلك لم يكن موضع اتفاق وتوافق كامل في الأوساط السلفية العربية عموماً، إذ بقيت هنالك تيارات ترفض هذا التحوّل وتصرّ إما على رفض العمل السياسي جملة وتفصيلاً أو ولوج التغيير من غير البوابة الديمقراطية، مثل السلفيين الجهاديين.

هذا وذاك انعكس على طبيعة الالتزام السلفي الجديد بالعملية الديمقراطية، إذ حاول السلفيون التمييز بين الأسس الفلسفية للديمقراطية وآلياتها معلنين التزامهم بالثانية لا الأولى، وقبولهم بصناديق الاقتراع وتداول السلطة، مع عدم التنازل عن هدفهم الأسمى "أسلمة الحياة العامة"، أو الدولة الإسلامية، ما أثار قلقاً وتشكيكاً من التيارات السياسية الأخرى فيما إذا كانت هذه التحولات السلفية تخدم المرحلة الانتقالية نحو تكريس نظم ديمقراطية تعددية في النظام السياسي العربي الجديد أم أنّها تشكّل تحدّياً أمامها؟

هذه الورقة تهدف إلى ترسيم معالم التحولات التي حدثت في المسار السلفي العام بصورة مختصرة وموجزة، عبر تقديم صورة عامة عن حالة التيارات السلفية فيما قبل الثورات العربية، ثم التحولات التي حدثت مع هذه الثورات، وما أحدثته داخل التيار السلفي أولاً- وتأثير ذلك على المشهد السياسي العربي ثانياً.

السلفيون عشية الثورات العربية

ما يميّز السلفية عن جماعة الإخوان المسلمين أنّها أقرب إلى "مذهب فكري"؛ تعود جذوره إلى العصور الإسلامية الأولى، فيمتد إلى من اصطُلح على تسميتهم بـ"أهل الحديث"، ويجد أباءه المؤسسين عبر تراث أحمد بن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ) وأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) ، ونظام عقائدي ومعرفي وفكري، ثم في العصر

الحديث عبر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهّاب، إلى أن وصلنا إلى نهايات القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين من خلال صيغ سلفية حاولت الجمع بين هذا الموروث الفكري والعقائدي والدعوي من جهة وثقافة العالم المعاصر من جهة أخرى، من أمثال محمد رشيد رضا وعبد الحميد بن باديس، وهي الصيغ التي أُطلق عليها "السلفية الوطنية" أو "السلفية العقلانية".

إلاّ أنّ الصورة المعاصرة الرائجة من السلفية قد اكتسبتها في النصف الثاني من القرن العشرين، وبدرجة أكبر منذ العقد السابع في القرن العشرين، عبر تأثير الاتجاهات السلفية السعودية، التي تجاوزت الساحة السعودية، بل والخليجية، إلى العالم العربي والإسلامي بقوة دفع التزاوج بين الدولة والدعوة في السعودية، وبفضل الثورة النفطية التي جعلت المعاهد العلمية والدعاة والشيوخ السعوديين ذوي نفوذ وتأثير على الأوساط السلفية العالمية عموماً، ما ساهم في نشر الفكر السلفي على نطاق واسع.

في مرحلة الستينيات والسبعينيات بدأ نفوذ "هيئة كبار العلماء" في السعودية يتّسع ويكبر عبر "المؤسسة الدينية الرسمية" هناك (أبرز رموزها عبد العزيز بن باز ومحمد بن عثيمين)، هذه المقاربة تتمثّل في الاهتمام بالجانب الديني والدعوي والعقائدي والابتعاد عن الخوض في السياسة أو تأسيس الأحزاب وممارسة النشاطات السياسية المعارضة، وهو الاتجاه الذي يطلق عليه السلفية التقليدية أو المحافظة أو العلمية (في شمال أفريقيا)، ومثّلت الهيئة في السعودية، بقيادة كل من عبد العزيز بن باز ومحمد بن عثيمين المرجعية الدينية-الفكرية لهذا الاتجاه، خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات.

بالرغم من تأكيد هيئة كبار العلماء بصورة دائمة على "طاعة ولي الأمر" ورفض اشتغال السلفيين في السياسة، والحكم على المعارضة هناك بالضلال، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع تياراً (على يمين الهيئة) من الظهور في مرحلة الثمانينيات والبروز بصورة أكثر تشدداً في بداية التسعينيات في رفض العمل السياسي والحزبي، بل والهجوم على الأحزاب الإسلامية الأخرى واتهامها بالخروج والضلال، والتخصص في الرد عليها وعلى روادها المعاصرين، مثل: حسن البنا وسيد قطب، أحد رواد هذا التيار في السعودية محمد بن آمان الجامي، الذي جاء من الحبشة ودرس في السعودية، واستقر فيها منذ سبعينيات القرن العشرين، واستقر به المطاف مدرّساً في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والمسجد النبوي .[١]

اشتهر الجامي وأتباعه (أطلق عليهم لاحقاً مصطلح السلفية الجامية) بالتعصب للسلفية واتخاذ مواقف متشددة من الجماعات الإسلامية الأخرى، والتأكيد على طاعة أولياء الأمور في الدول العربية، ورفض المعارضة والخروج وتشكيل الأحزاب السياسية بوصفها بدعاً ليست من الدين .[٢]

نجد امتداد هذه المدرسة بوضوح في اليمن عبر مقبل بن هادي الوادعي، وهو يمني درس في السعودية وطرد من هناك بدعوى اشتراكه في حركة جهيمان عام ١٩٨١، وهو ما ينفيه بشده، ثم عاد واستقر في اليمن مع بداية الثمانينات وبدأ بنشر السلفية، واكتسب أنصاراً وأتباعاً، يحملون أفكاره وآراءه.

أما في الأردن، فبالرغم من أنّ ناصر الدين الألباني (أحد أبرز شيوخ السلفية المعاصرة) أقرب إلى خط ابن باز وابن عثيمين في عدم التدخل في السياسة، بل عبارته الشهيرة هي "من السياسة ترك السياسة"، إلاّ أنّ مدرسته وتلاميذه يقتربون من الاتجاه الجامي في العلاقة مع الحكومة والموقف من الإسلاميين الآخرين، ووجدت هذه المقاربة امتداداً لها في كثير من الدول العربية الأخرى .[٣]

١. انظر الصفحة الرسمية لمحمد بن آمان الجامي والتعريف به، على شبكة الانترنت، الرابط التالي
http://www.eljame.com/mktba/pageother.php?catsmktba=40
٢. انظر على سبيل المثال: محمد بن آمان الجامي، قرة عيون السلفية بالإجابات على الأسئلة الكويتية، الرابط التالي
http://www.eljame.com/mktba/play.php?catsmktba=3
٣. انظر حول هذا التيار: عبد الغني عماد، الحركات الإسلامية في لبنان، دار الطليعة، بيروت، ط٢٠٠٦،١.

في الثمانينيات بدأت مقاربات سلفية أخرى بالبروز تزاوج بين الإيمان بالعقائد والمواقف المعرفية والفكرية السلفية في الأحكام الشرعية والمناهج العلمية الدينية، لكنّها تختلف معها في الموقف من الحكام وفي التعامل مع الشأن السياسي، إذ ترفض المقاربات الجديدة "استنكاف" السلفيين عن العمل السياسي والحزبي بذريعة "طاعة ولي الأمر"، أو أنّ هذه المؤسسات بدع ومحدثات غربية ليست إسلامية.

أحد أبرز وجوه التيار السلفي الجديد (أصبح يطلق عليه لاحقاً السلفية الحركية) هو السوري محمد سرور بن نايف بن زين العابدين، الذي كان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين، ثم غادر إلى السعودية في نهاية الستينيات، بعد التضييق على الجماعة في سوريا، وهناك عمل مدرساً في مدينة البريدة، ثم غادر في السبعينيات إلى الكويت، قبل أن يستقر به المقام لاحقاً في لندن، ويؤسس هناك المنتدى الإسلامي، ويصدر مجلة السنة، التي أصبحت بمثابة المنبر الإعلامي والسياسي لهذا التيار، وأخذت صيتاً كبيراً في الأوساط السلفية في حرب الخليج ١٩٩١، ومنعت حكومات عربية عدة من توزيع المجلة وتداولها.

خصوم سرور (بصورة رئيسة أتباع محمد الجامي وربيع المدخلي) أخذوا يطلقون على من يتبنى أفكاره - المزاوجة بين السلفية والسياسة- بـ"السروريين" [٤]، وقد بدأت أفكار زين العابدين وتحليلاته السياسية ورؤيته للتغيير، تنتشر في السعودية ودول أخرى، وتأثر بها عدد من العلماء والدعاة المعروفين لاحقاً، بما يسمى في السعودية "مشايخ الصحوة".

في السبعينيات، وبصورة أكثر وضوحاً خلال الثمانينات، برز اسم الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، وهو مصري الأصل درس في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ثم غادر إلى الكويت في منتصف الستينات ليدرّس هناك، ويساهم في تأسيس جمعية إحياء التراث السلفية، مع عدد من السلفيين، ويقدّم مقاربة سلفية جديدة في قضية التغيير والإصلاح والموقف من العمل السياسي [٥].

وبالرغم من أنّ عبد الخالق شقّ الطريق مبكّراً إلى العمل السياسي داخل البيت السلفي، وساهم في خوض السلفيين هناك منذ الثمانينيات لغمار التجربة الحزبية، بعيداً عن مقولات الطاعة لولي الأمر أو عدم الدخول في اللعبة السياسية، إلاّ أنّه في الوقت نفسه وقف ضد مبدأ الخروج على الحاكم، الذي حكم أيديولوجيا السلفية الجهادية عموماً، إذ كتب عبد الخالق ضد استخدام السلاح والعنف، مطالباً بالالتزام بالخط السلمي في الدعوة الإسلامية [٦].

بالرغم من إيمان كل من محمد زين العابدين وعبد الرحمن عبد الخالق بالعمل السياسي ورفض فتاوى "طاعة ولي الأمر"، وعدم تكفير أو تضليل الموقف من الحزبية الإسلامية، إلاّ أنّ بن سرور، وفقاً لمراقبين للاتجاهات السلفية، هو أقرب إلى الجمع بين السلفية والمدرسة القطبية، ويبدو أكثر حدّة في نقده لجماعة الإخوان المسلمين، فيما يتسم عبد الرحمن عبد الخالق بالانفتاح على الإسلاميين عموماً [٧]، يمكن ملاحظة انعكاس هذا الاختلاف بين الرجلين بوضوح - لاحقاً- على السلفية اليمنية، إذ انشقت جمعية الإحسان المتأثرة بأفكار

---

٤. قارن ذلك برفض لانخراط السلفيين في العمل السياسي أو ما يسمى بالسرورية، بإجابات لمقبل بن هادي الوادعي "هذه هي السرورية فاحذروها"، يمكن الاستماع لها على الرابط التالي http://www.muqbel.net/sounds.php?sound_id=6
على الموقع الرسمي له على شبكة الانترنت، وانظر الرد على ذلك بمقال لمحمد بن سرور زين العابدين حول مسيرته الدعوية والسياسية، بعنوان "صفحات من الماضي: السرورية"، على الرابط التالي http://www.sudanforum.net/showthread.php?t=72791

:٥. انظر حديث عبد الرحمن عبد الخالق عن سيرته الذاتية في برنامج مراجعات على قناة الحوار، الرابط التالي http://www.youtube.com/watch?v=15SuN8OB9NI&feature=related

٦. انظر: عبد الرحمن عبد الخالق، السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله، شركة بيت المقدس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ٢٠٠٦، ص٣٣٧-٤٠٥، وهو كتاب يضم مجموعة من الدراسات والكتب التي أصدرها عبد الخالق في وقت مبكّر.

٧. انظر: مشاري الذايدي، محمد بن سرور غادر سورية بعد نكبة الإخوان. استقر وعلم في بريدة. خلط حركية الإخوان بثورية قطب بسلفية ابن تيميه، جريدة الشرق الأوسط، ٢٨ اكتوبر، ٢٠٠٤، ع (٩٤٦٦).

بن سرور عن الحكمة اليمنية المتأثرة بعبد الرحمن عبد الخالق .[٨]

في بداية التسعينيات، وعلى وقع الاختلاف على الموقف من حرب العراق، احتدمت السجالات السلفية الداخلية مع بروز تيار جديد حرّك المياه الراكدة في السعودية يعلن عدم جواز الاستعانة بالجيوش الغربية لتحرير الكويت من الجيش العراقي، بخلاف فتوى هيئة كبار العلماء، وظهر على رأس هذا التيار كل من د. سفر الحوالي (الذي كتب "وعد كيسنجر والأهداف الأميركية في الخليج". وقدّم محاضرات متعددة في رفض هذا التدخل)، ومعه سلمان العودة وعائض القرني وناصر العمر، وهو التيار الذي اصطلح على تسميته بـ"تيار الصحوة" .[٩]

ومزج خطاب التيار الجديد (حينها) بين الدعوة إلى تطبيق أكثر جديّة للشريعة الإسلامية والدفاع عن هوية البلاد في مواجهة الليبراليين، والمطالبة في الوقت نفسه بإصلاحات سياسية، تعزز من مناخ الحريات العامة والمشاركة السياسية والحدّ من الفساد المستشري، وقاموا بتوجيه رسائل للملك السعودي تطالب بالإصلاحات السياسية والاقتصادية، لكنها تدعو في الوقت نفسه إلى التزام أكبر بالشريعة الإسلامية .[١٠]

بعد خروج الحوالي والعودة بدت ملامح تغير على خطابهما الفكري والسياسي، ونزوع إلى التهدئة مع السلطات السعودية، مع بروز ما يسمى بالسلفية الجهادية وصعود القاعدة في السعودية، بخاصة بعد أحداث ١١ ايلول، إذ أخذ كلّ من الحوالي والعودة بنقد القاعدة وخطابها وعملياتها، وقاما مع آخرين بتوزيع رسالة عنوانها "على أي أساس نتعايش؟" في الردِّ على رسالة المثقفين الأميركان بعد الأحداث بعنوان "من أجل ماذا نحارب؟!" .[١١]

يمكن ملاحظة الخارطة الواقعية للسلفية الحركية، عبر الجماعات السلفية التي انخرطت في العمل السياسي في الكويت، مثل جمعية إحياء التراث (أصبحت خلال الأعوام الأخيرة أقرب للسلفية الجامية)، وفي البحرين جمعية التربية التي تتبع لها كتلة الأصالة (وإن كانت هذه الجمعية أقرب للخليط ما بين الحركيين والتقليديين)،[١٢] وفي الأردن جمعية الكتاب والسنة ، وفي لبنان مجموعة محمد الخضر (المنتدى الإسلامي اللبناني للحوار) ،[١٣] وفي اليمن جمعيتا الحكمة اليمانية والإحسان، وفي الجزائر أتباع محمد علي بلحاج، أحد قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وفي السعودية تيار الصحوة الإسلامية، مثل: سفر الحوالي وسلمان العودة وعائض القرني وغيرهم.

في التسعينيات، كذلك، حدث تزاوج آخر ما بين الفكر الجهادي والسلفي، برز في أوضح صوره الحركية عبر تنظيم القاعدة، وحاضنته ما سمي بـ"التيار السلفي الجهادي"، الذي جمع ما بين العقائد الدينية السلفية، مع التأثر بأفكار سيد قطب هنا، وتركيزه على مفهوم الحاكمية، واختيار طريق "الجهاد" بوصفه الوسيلة المشروعة الفاعلة في التغيير، وقام هذا التيار بدمج معركة التغيير الداخلية (مع النظم العربية= العدو القريب) بالمعركة الخارجية (الولايات المتحدة= إسرائيل= الغرب= العدو البعيد) وفقاً لفرضية أساسية فحواها

---

٨. يفسّر الباحث أسامة شحادة الاختلاف بين عبد الخالق وبن سرور، بأنّ عبد الخالق هو ابن المدرسة السلفية في الأصل، بينما محمد بن سرور ابن المدرسة الإخوانية بنسختها القطبية، وقد برز جوهر الاختلاف بين الرجلين في بداية الثمانينيات، في إفتاء عبد الخالق بجواز المشاركة في الحياة النيابية والبرلمانات، ودفاعه عن هذا الخط الفكري، بينما كان زين العابدين حينها يرفض اللعبة الديمقراطية والانتخابات النيابية، قبل أن يعود في الأعوام الأخيرة عن هذا الرأي. مقابلة مع أسامة شحادة في مكتبي في مركز الدراسات الاستراتيجية بالجامعة الأردنية، ٢٣- ٥-٢٠١٢.

٩. انظر: محمود الرفاعي، المشروع الإصلاحي في السعودية: قصة الحوالي والعودة، واشنطن، ١٩٩٥، ط١، ص١١-٣٤.

١٠. انظر: محمود الرفاعي، المشروع الإصلاحي في السعودية: قصة الحوالي والعودة، مرجع سابق، ص٥٩-٨٦.

١١. انظر: حول الرسالة الأميركية: رضوان السيد، الصراع على الإسلام: الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص ٤٧-٧٣. وانظر حول بيان "على أي أساس نتعايش" وما أثير حوله من نقاشات: محمد سليمان، رسالة من مكة، هذه لغة الحوار بين الأمم والشعوب، مجلة العصر الالكترونية، ٣-٥-٢٠٠٢، الرابط التالي /http://alasr.ws/articles/view/2258

١٢. انظر: الموقع الرسمي لجمعية الكتاب والسنة على شبكة الانترنت، الرابط التالي:
http://ktabsona.com/index.php?option=com_frontpage&Itemid=1

١٣. انظر: أميمة عبد اللطيف، الإسلاميون السنة في لبنان، أوراق كارنيغي، ص١٣.

أنّ هنالك تواطؤاً ودعماً من الولايات المتحدة والغرب لهذه النظم وإسرائيل، وأنّ الانتصار عليها وكسب الشرعية من الشارع، يتطلب مهاجمة القوى الكبرى التي تدعمها.[١٤]

بالرغم من هذه الروافد الأربعة الأساسية في الواقع السلفي المعاصر اليوم (التقليدية- المستأنسة، الجامية، الجهادية والحركية)، إلاّ أنّه من الصعوبة بمكان اختزال وتقنين التيارات والمجموعات السلفية ضمن أطر محدّدة مضبوطة في هذه المقاربات، فهنالك حالة من السيولة والتداخل ما يخلق مشهداً متشظياً للسلفية أقرب إلى المقاربات الفرعية والداخلية التي تتفق هنا وتختلف هناك، ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة بوضوح في كل من مصر ولبنان والكويت، إذ نجد جمعيات ومجموعات وشخصيات تختلف في كثير من الفروع والمواقف السياسية.[١٥]

السلفيون غداة الثورات الديمقراطية

فجّرت الثورتان المصرية والتونسية سجالات ومناظرات جوهرية ساخنة في الأوساط السلفية العربية عموماً، فهذه الثورات (في جوهرها التحرّك السلمي للشعوب للتخلّص من الحكم الاستبدادي وإسقاطه) شكّلت صدمة كبيرة لمقولات السلفيين في التركيز على العمل الدعوي والتعليمي والتربوي، والاستنكاف عن العمل السياسي والإعلامي، دفعت بأبناء هذا التيار إلى قلب السجالات والعمل السياسي، وفرضت واقعاً جديداً تطلّب إجابات مختلفة عن المرحلة السابقة، ما جرف السلفيين نحو التحولات الأخيرة.

ولأنّ مصر كانت البؤرة الساخنة في هذه المناخات الجديدة، فمنحت الريادة للمرة الأولى عربياً وإسلامياً، خلال العقود الأخيرة، إلى التيار السلفي المصري، الذي التقط المبادرة والتغيير من السلفية السعودية، وأصبح هو مصدر الإلهام للتجربة السلفية الجديدة، وهذه النتيجة تمثّل بحد ذاتها تحولا مهماً في حالة السلفية العربية، ثم انتقلت العدوى إلى السلفيتين التونسية واليمنية (أي دول الثورات السلمية العربية)، لكنّ مداها وصداها الفكري والسياسي أصاب السلفيين في أغلب الأقطار العربية.

المشهد السلفي المصري عشية الثورة كان منقسماً بين جمعيات سلفية تاريخية لعبت دوراً في نشر الفكر السلفي والتعريف به، بعيداً عن اللعبة السياسية، وحركة كبيرة مركزها في الاسكندرية، تتمثل بالدعوة السلفية، واتجاهات سلفية أخرى، أخذت طابعاً مختلفاً، مثل سلفية القاهرة، الأقرب إلى الإطار الحركي أو القطبي، مع وجود تجليّات للاتجاه الجامي (طاعة ولي الأمر)، ودعاة سلفيون مستقلّون مشهورون مدعومون بقنوات فضائية سلفية لها جمهور عريض، وسلفية جهادية قامت بمراجعات تخلّت خلالها عن العمل المسلّح، وقبلت بالعمل السلمي مع الحفاظ على أصول الدعوة السلفية.

بالرغم من اختلاف وتباين مواقف السلفيين من الثورة المصرية (٢٥ كانون الثاني ٢٠١١)، إلاّ أنّ التيار السلفي العام اتجه غداة الثورة إلى العمل الحزبي والسياسي، وبرز الوزن الأكبر في الانتخابات لحزب النور (قاعدته الدعوة السلفية في الاسكندرية)، وتأسست أحزاب جديدة مثل الأصالة (أقرب إلى سلفية القاهرة الحركية)، وحزب البناء والتنمية (قاعدته الجماعة الإسلامية)، والسلامة والبناء (قاعدته تنظيم الجهاد).

لم يكن من الممكن القيام بهذه الاستدارة التاريخية نحو الانخراط في العمل السياسي والحزبي من دون القيام بمراجعات للموروث الفكري السلفي تجاه الديمقراطية والحزبية وتداول السلطة وجملة من شروط الدخول في اللعبة السياسية والالتزام بقواعدها العامة.

---

١٤. انظر: محمد أبو رمان، الإصلاح السياسي في الفكر الإسلامي: المقاربات، القوى، الأولويات، الاستراتيجيات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص ٢٥٥-٢٦٠.

١٥. انظر حول السلفيين في لبنان: عماد عبد الغني، الحركات الإسلامية في لبنان، مرجع سابق، ص ٣٠٩- ٣٤٢. وقارن ذلك بتشعب الخارطة السلفية في لبنان بين اتجاهات فرعية عديدة في: "السلفية اللبنانية: بين فكي الجهاد العالمي وسهولة التوظيف السوري"، على الرابط التالي http://www.nowlebanon.com/Library/Files/ArabicDocumentation/salafist%20arabic2.pdf

إلاّ أنّ المراجعات السلفية لم تكن مكتملة، في رأي مراقبين وباحثين، وتركت مساحةً رمادية واسعة وتساؤلات وشكوك كبيرة في مدى الالتزام السلفي بالديمقراطية والتعددية واحترام الحقوق الفردية والحريات العامة، وهواجس من مشروع "الأسلمة" الذي يصرّ عليه السلفيون.

ذلك أنّ التنظير السلفي الجديد مع إعلانه القبول بالديمقراطية وتداول السلطة، وأظهر مرونة في الحوار والتحالف مع القوى السياسية المختلفة، إلاّ أنّ الاتجاه السلفي العام رفض الإقرار بالدولة المدنية وأصرّ على هدف "إقامة الدولة الإسلامية"، ودخل في سجالات ساخنة مع التيارات العلمانية حول الدستور والشريعة، وأصبح جزءاً رئيساً من حالة الاستقطاب التي استغرقت مصر وتونس حول هوية الدولة والعلاقة بين الدين والدولة والمجال العام.

في الأثناء كانت غواية التحولات السلفية المصرية تعبر إلى دول الربيع العربي، اليمن وتونس، فأقبلت مجموعات سلفية على تأسيس أحزاب سياسية والانخراط في الحياة السياسية والعمل العام، وفي الوقت نفسه كانت مجموعات سلفية من مشارب مختلفة تحاول استلهام هذه التجربة، في الممالك العربية، الأردن والمغرب، لتأسيس أحزاب أو الانخراط في أحزاب، إلاّ أنّ اللحظة التاريخية الحبلى بالاختلافات والتباينات والاستقطاب والسجالات الساخنة في مرحلة لاحقة، خفّفت من حدة هذا الاندفاع، وقلّل ما حدث لدى السلفيين المصريين من اختلافات وانشطارات من وحي هذا التحوّل وعائقاً في وجهه.

على الصعيد السلفي العربي العام، كان صدى حقبة الثورات الديمقراطية العربي يجد مداه الفكري الأكبر في مؤتمر مهم عقدته قيادات سلفية من العديد من الدول العربية في مدينة اسطنبول التركية في نوفمبر ٢٠١١ للتباحث في مستقبل التيار السلفي، ومع أنّ المزاج العام الذي طغى على المؤتمر هو ضرورة القيام بتحول كبير نحو العمل السياسي، إلاّ أنّ الممانعة الداخلية في القبول بالديمقراطية وقواعد اللعبة السياسية والخشية على المنهج السلفي بقيت حاضرة في المداولات والمناظرات الداخلية، وربما الكلمة الأكثر أهمية جاءت عبر الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق (كان من أوائل السلفيين الذين نظّروا لضرورة المشاركة السلفية في العمل السياسي، منذ السبعينيات والثمانينيات)، إذ تحدث عن القبول بالديمقراطية بوصفها "مرحلة انتقالية" (تخلصاً من الأنظمة الدكتاتورية) نحو إقامة الدولة الإسلامية، لتسهيل عملية الانتقال السلفي والعبور نحو المرحلة الجديدة!

مرحلة ضبابية وأسئلة مشروعة

لم يسر قطار التغيير العربي - لاحقاً- على السكّة نفسها، فما بدأ بثورات سلمية، انتهى مع ليبيا وسوريا إلى ثورات مسلّحة، ولم تكن المرحلة الجديدة في دول الربيع الديمقراطي الأولى (مصر وتونس) سلسلة ومهيأة لإقامة أنظمة ديمقراطية مستقرة، مع بروز الاستقطاب الإسلامي- العلماني.

وبعد أن كان كثير من المراقبين والباحثين على وشك قراءة الفاتحة على روح السلفية الجهادية، فإنّ ما خلقته الثورة السورية من مناخ جديد في المشهد العربي تفوح منه رائحة الاختلاف والجدل والصدام الطائفي، فإنّ المشهد يبدو مختلفاً اليوم عن ذلك الذي بدا في الأيام الأولى من حقبة الربيع الديمقراطي العربي، وفي مثل أجواء هذا الشحن المذهبي والطائفي والأيديولوجي تنتعش الروح السلفية الجهادية، وتبرز حالة التشكيك والشك والضبابية بقوة ليس على مستقبل التيار السلفي وحده، بل على مآلات هذه الحقبة السياسية العربية الجديدة وما ستسفر عنه من معالم وخرائط جديدة!

مع ذلك يبقى السؤال قائماً وملّحاً وجدلياً حول أبعاد الدور السياسي الجديد للسلفية، سواء في دول الربيع العربي (مصر، تونس واليمن)، أو منطقة التوتر الطائفي والمذهبي (سوريا، لبنان والعراق)، أو حتى في الممالك التي تبدو إلى الآن على مسافة من هذه العواصف الشديدة (مثل الأردن والمغرب ودول الخليج العربي)!

مستقبل التحولات داخل التيار السلفي في مصر*

أحمد زغلول شلاطة

أدت التحولات في دول الربيع العربي إلى إحداث تغييرات جذرية في بنية الأنظمة السياسية بإحلال قوى تيارات الاسلام السياسي محل الأنظمة المنهارة وتزامنت مع هذه التطورات اتجاه كيانات سلفية للعمل السياسي رغم رفضها السابق وتصدرها بؤرة الأحداث بحيث أصبحت مصدر قوة وتأثير ورقم صعب في المعادلة السياسية. نحاول في هذه الورقة التعرف عن قرب عن الحالة السلفية المصرية والتحولات الحادثة فيها والتحديات التي تواجه المشاركة السلفية في مصر.

أولاً: التحولات في بنية التيار السلفي المصري

أ. تحولات بنيوية:

بداية هناك ضرورة للتمييز بين عدة مصطلحات هامة تساعدنا على الإلمام بالمشهد السلفي وهي: المنهج السلفي، والمجال السلفي العام ، والحركة السلفية ، " المنهج السلفي له معالمه المتعارف عليها منذ قرون سواء تقديم الشرع على العقل ، ورفض التأويل ، والاستدلال بالكتاب والسنة على العقائد والأحكام ، وقد عُرف هذا المنهج وهذه الأفكار بتنويعاتٍ مختلفة في مصر على أيدي جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا ومحي الدين الخطيب في أواخر القرن التاسع عشر. أما "المجال السلفي العام" فهو المجال الذي تتحرك من خلاله كافة الكيانات السلفية وجمهوره الغير منظم في جماعة ما ، فهو دوماً الجمهور المستهدف في كافة الفعاليات والإنتخابات، وهذا المجال يشمل الكثير ممن يعتنقون الفكرة السلفية ويأخذون من كافة الشيوخ ، فالجميع عندهم أصحاب فضل وسبق ، وهو كيان غير محدد المعالم ، أو مُؤطّر تحت أي راية ، بل هو الوقود لكافة الفعاليات ذات الطابع السلفي. "الحركة السلفية" نقصد بها الإطار الذي تتخذه هذه المعالم سواء أكان بشكل منظم (هيئة , حزب , جمعية . إلخ) أو بشكل غير منظم (أفراد ولهم جمهورهم) وتتحرك هذه الحركات تحت رايته ، وتأخذه مرجعية لها وقاعدة فكرية. لذا استطاعت الدعوة بخطابها وشبكات أنصارها جذب قطاعات كبيرة من المجال السلفي العام إلى دعمها.

ظل المقصود بالسلفية المصرية طوال عقود ما قبل الثروة هو السلفية التقليدية الخيرية ممثلة بجمعية أنصار السنة المحمدية ،وبعد السبعينات بدأ يتكون ما يعرف بالسلفية السياسية[١٦] والتي تنقسم إلى ثلاث جماعات رئيسية متمايزة: السلفية العلمية ممثلة في جماعة الدعوة السلفية السكندرية والسلفية الحركية أو ما تسمى بسلفية القاهرة والسلفية المدخلية. وأدت الحالة الثورية وحالة السيولة السياسية والسلفية الغير مؤطرة في أي كيان موجود إلى ظهور كيانات جديدة بدأت تظهر على الساحة المصرية مثل " الجبهة السلفية" وهي : رابطة تضم عدة رموز إسلامية وسلفية مستقلة؛ كما تضم عدة تكتلات دعوية من نفس الاتجاه ينتمون إلى محافظات مختلفة من الجمهورية

* ورقة مقدمة إلى: مؤتمر "التحولات السلفية": الدلالات، التداعيات والآفاق - مركز الدراسات الاستراتيجية بالجامعة الأردنية ، بالتعاون مع مؤسسة فريدريش إيبرت الألمانية.

١٦. انظر الباب الثالث من كتابنا: الحالة السلفية المعاصرة بمصر ، طبعة ٢

, ولا تشترط الذوبان الكامل ولا الاتفاق على كل الخيارات وإنما يحتفظ الجميع بخياراتهم المستقلة داخل الصف الإسلامي ويجتمعون على أهداف ومبادئ هذه الجبهة . ومؤخرا تعمل على الجبهة على انشاء حزب يكون الذراع السياسي لها.

وأمام ذلك الانفتاح في المشهد السلفي / السياسي نجد خريطة الأحزاب السلفية القائمة بالفعل بمصر كالتالي:

أولاً: حزب النور: في٤-٠٥-٢٠١١ تقدم د. عماد عبد الغفور- وكيل مؤسسي حب النور - بأوراق تأسيس الحزب للجنة شؤون الأحزاب للمرة الثانية حيث كانت المرة الأولى يوم ١٧ أيار ولم يستطيعوا التقديم بسبب اجراءات روتينية صرفة. بداية فكرة الحزب اقتراح من د. عماد عبد الغفور ودارت مناقشات بينه وبين مشايخ الدعوة أثناء وبعد الثورة . تلخصت رؤيته في ضرورة أن يكون هناك عمل سياسي منفصل وتحديدا في شكل حزب سياسى خاصة وأن الظروف بدت مواتية لإتخاذ هذه الخطوة بحيث تستمر الدعوة فى نفس منهجها وشيوخها مع وجود حزب ينبع من فكر سلفي بكوادره وأفكاره ولكن يظل في النهاية حزب سياسي.وبعد نقاشات مطولة بين شيوخ الدعوة والداعين لفكرة العمل الحزبي وبدأت الفكرة تلقى قبولاً بشكل أو بآخر لأسباب. وكان الجدل الشرعي الدائر يتمركز حول هو حرمة المشاركة أو أحكامه بالنسبة للواقع الموجود والموازنات وكانت هناك بعد ذلك درجات اقتناع من المشايخ وبعد عدة اجتماعات لمناقشه الفكرة والتصويت عليها تم حسم هذا الأمر يوم ٢٤ شباط حيث بدأت الخُطوات الفعلية فى تأسيس الحزب الذي لُقب بالحصان الأسود حيث حصد على ١٢١مقعدًا بنسبة ٢٤٪ من جملة المقاعد في برلمان ٢٠١١ ومثل القوة الثانية بعد الإخوان والتي حصلت على ٢٣٥ مقعدا بنسبة ٤٧٪ من جملة مقاعد البرلمان.

ثانياً:حزب الفضيلة: وهو أول مشروع سياسي سلفي يطُرح في مصر بعد الثورة .[١٧] ففي ٢٤-٠٣- ٢٠١١ أطلق نشطاء من التيار السلفي مبادرة حزبية جديدة بالإعلان عن تأسيس "حزب الفضيلة" الذي وصفه المؤسسون بأنه " حزب سياسي يسعى لنشر قيم العدالة والمساواة وإعادة الصدارة لمصر في مختلف الميادين بما يتفق مع مباديء الشريعة الإسلامية" . وأعلن م. محمود فتحي وكيل مؤسسي الحزب في بيانه التأسيسي أسماء المكتب السياسي للحزب الذي يقوده الدكتور لواء عادل عبد المقصود عفيفي ، رئيسا للحزب وهو الشقيق الأكبر للداعية السلفية المعروف د.محمد عبد المقصود. ولخلافات داخلية - شخصية وإدارية- بين مؤسسيه تأخر في تقديم أوراقه حتى قدمها فتحي في ١٧ تشرين الأول ٢٠١١ حيث قررت لجنة شئون الأحزاب قبول تأسيس الحزب والذي اعتذر عن المشاركة في الانتخابات البرلمانية لضيق الوقت المتاح أمامه للإعداد لها نتيجة لتأخر قرار التأسيس.

ثالثًا: حزب الأصالة: نجم عن الخلافات التي حدثت بين مؤسسي حزب الفضيلة أن انفصل مجموعة بقيادة عادل عفيفي بدعم شقيقه الشيخ محمد عبد المقصود وكونوا حزب الأصالة والذي قررت لجنة شئون الأحزاب قبول أوراقه في ٢٩ أغسطس ٢٠١١. دخل الحزب في تحالف مع حزب النور في برلمان ٢٠١١ وحصل على أربع مقاعد.

تمركزه الأساسي في محافظة القاهرة وبعض المحافظات القريبة منها . وبحسب م. أشرف ثابت في حوار سابق معنا قال أن الحزب ليس لها تواجد سوى في محافظتين وما لم يعلمه أحد أننا نحن من أقمنا حزب الأصالة فلولا أننا أعطينا تعليمات لإخواننا في المحافظات أن يعطوهم مؤسيسين فمعظم مؤسسين الأصالة من عندنا " وهو ما رفضته بعض الشيوخ الداعمة للأصالة.

١٧. عن تفاصيل هذه الفترة انظر: أحمد زغلول ، الإسلاميون والثورة ، أوراق لنشر والتوزيع ، ٢٠١٢ ، كذلك أحمد زغلول (تحرير) ، عماد عبد الغفور شاهد على عصر الحركات الإٍسلامية ، قيد النشر

رابعًا: حزب الإصلاح: في ١٥ ايلول ٢٠١١ تم الإعلان عن تأسيسه ليكون بذلك رابع الأحزاب ذات المرجعية السلفية في مصر وفي ١١ شباط وافقت لجنه شئون الأحزاب عليه برئاسة د. عطيه عدلان. شارك الحزب في برلمان ٢٠١١ ضمن التحالف الديمقراطي على قوائم الإخوان المسلمين وحصل على مقعد واحد كان من نصيب رئيس الحزب.

خامسًا : حزب الوطن: بعد أزمة جبهة الإصلاح الداخلي مع الهيئة العليا لحزب النور [١٨] والتي استمرت عدة شهور ، انتهت باستقالة ١٥٠ عضوا من ٢٣ محافظة أشهرهم د.يسري حماد فضلاً عن د.عماد عبد الغفور الذي أعلن استقالته في ٢٩ كانون الأول٢٠١٢ ووكالته لمؤسسي حزب الوطن حيث عقد مؤتمر تأسيس الحزب في ١كانون الثاني ٢٠١٣، وتم تقديم أوراق الحزب وإشهاره رسميا في ٥ شباط ٢٠١٣.

ب. تحولات فكرية

اشتركت جميع التيارات السلفية في رفض المشاركة البرلمانية كذلك موقفها الرافض للديمقراطية [١٩] أدى حدث الثورة المصرية إلى دفع بعض هذه الاتجاهات لعمل نوع من التراجعات فيما يخص شرعية العمل الحزبي ، وكان أسبقها سلفية القاهرة بالاعلان عن انشائها لحزب "الفضيلة" وهو أول حزب سلفي يُعلن عن تأسيسه بمرجعية الشيخ محمد عبد المقصود ، رغم أن أدبياته كانت ترفض العمل الجماعي ،[٢٠] تلاها إعلان مجموعة من سلفيي الإسكندرية العمل على انشاء حزب النور وسُطَ صمت من شيوخ الدعوة تجاه دعمهم المباشر لهذه التجربة ، أما خطاب السلفية المدخلية فلم يطرأ عليه أي تغيير.

بعد امتناع فقهي عن المشاركة الحزبية استناداً إلى الموقف الشرعي المعلن في مانفستو الدعوة "السلفية ومناهج التغيير" طوال عقدين حدث تحولاً فقهيًا "نظريا"- بحسب ياسر برهامي - عندما صدر حكم المحكمة الدستورية العليا سنة ٩٦ . وقلت وقتها - وهذا مسجل بصوتي - أن مجلس الشعب المصري ليس مجلسا كفريا ولا طاغوتيا بخلاف نظيره التونسي الذي يتبرأ من الشريعة والبرلمان التركي كذلك. ويضيف:" وفي درس لي في الفترة ٢٠٠٤-٢٠٠٥ قلت إنه من الناحية النظرية لا يعتبر مجلس الشعب المصري مجلسا كفريا، أما من الجهة الواقعية، فما زالت السنّة التشريعية تخالف الشرع، وذلك لجهل الموجودين وولائهم للحزب الوطني الذي يبيعون من أجله كل شيء"[٢١] لكنه "عمليا" لم يهتم بتوثيق هذا التحول كتابيا وعمليا أيضا ظل الموقف من العمل الحزبي كما هو. وترافق مع هذا التوجه الإقرار باستخدام بعض أدوات الديمقراطية التي لا تخالف شريعة الله.

وبسبب ارتباك اللحظة التاريخية التي عاشتها الدعوة السلفية نجد أن دخولهم لساحة العمل السياسي الحزبي لم يسبقه تنظير شرعي وإنما حدث بعد التنظير بعد اتخاذ القرار ، وما يساعدنا في تفهم هذا التحول النظر إلى طبيعة الفكرة السلفية لدى الدعوة خاصة وتطبيقاتها المختلفة لدى غيرها من الكيانات الإسلامية عامةً ، فالدعوة السلفية تتبنى منهجًا تغييرًا جذريًا لا يمكن أن يتوافق مع الوضع الحالي ، ويظهر ذلك من مقوله برهامي السابق الإشارة إليها " . أما من الجهة الواقعية، فما زالت السنّة التشريعية تخالف الشرع، وذلك لجهل الموجودين وولائهم للحزب الوطني الذي يبيعون من أجله كل شيء". وهذا عكس منهج أنصار السنة المحمدية التي لا تمانع في ذلك فحسب رئيسها العام د.عبدالله شاكر:"لا حرج في هذا . من يريد أن يترشح لمجلس الشعب- حتى لو قيادي- لا أمانع فهذا عمل داخل الدولة إن قبلوه فلا حرج"[٢٢] . كذلك موقف الإخوان المسلمين الذي تبنى منهج التغيير

١٨. أحمد زغلول ، حزب "النور" ، ومستقبل السلفية السياسية ، على الرابط التالي:
www.islamyun.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=1301&Itemid=157

١٩. بين السلفية العلمية والحركية بعض الإختلافات الفرعية حول مسائل الولاء والبراء ومراتب التكفير والحكم بما أنزل الله.

٢٠. عن تفاصيل هذه التحولات انظر: الإسلاميون والثورة ، م س.

٢١. أحمد زغلول ، حوار مع ياسر برهامي ، إسلام أون لاين. ٢٠١١-١٠-١٩ http://islamonline.net/ar/1877

٢٢. www.islamyun.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=778 &Itemid=157

التدريجي ، وشارك قدر المستطاع في الحياة الساسية سواء في النقابات أو البرلمانات المختلفة قدر المساحة السياسية التي توافرت له.

ولاختلاف الأولويات ورؤية العمل لدى التيارين الإسلاميين الكبيرين "الدعوة السلفية" و"الإخوان المسلمين" حسم الأمر بعد فترة تردد وخرج إلى الحياة السياسية "حزب النور" اقتناعا بحجة عبد الغفور التي طرحها وهي "ضرورة هذه الخطوة لوجود قطاعات من "التيار السلفي" لا يُتقن العلم الشرعي ، هناك التاجر البارع والمهندس المتفوق والطبيب الماهر ، هل نترك من معنا في التوجة الفكري للتوجه الإخواني سياسيا ؟ بهذا بعد وقت قليل نجدهم سيميلون إلى الإخوان ويتركونا" [٢٣].

ورغم الموافقة على الحزب "كان من المفترض أن يقوم المشايخ الأمناء بعمل ندوة مجمعة يتحدثون فيها عن مشروعية العمل السياسي ويعلنوا دعمهم لنا لكنهم تراجعوا ولم تتم هذه الندوة خوفا على مصير الدعوة في حالة فشل الحزب".

ولذلك لم نجد اجتهادا جديدا خاصا بموقف الأقباط أو المرأة في الحزب بل ظلّت الرؤية الفقهية وما يترتب عليها من ممارسات سياسية [٢٤] ، وبسبب قانون الأحزاب الذي يفرض أن يكون ألا يقوم حزب على أساس ديني أو طبقى أو نوع- وهذا محل انتقاد منهم - ، كان لابد من وجود تمثيل للأقباط والمرأة في حزب النور، وأذعنوا مجبرين على هذا القيد من باب "الضرورات" مع ثبات نفس موقفهم الشرعي ، آملين أن يتمكنوا من تغيير مثل هذه الشروط فيما بعد.

يقول عبد الغفور:" استطاع أحد الإخوة وهو "ياسر متولي" بما له من علاقات متعددة مع مسيحيين - حيث يتواصل معهم عبر موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" ، وعلى علاقة قوية بعدد كبير منهم - أن يقنع تقريبا خمسون شخصا منهم بالإسكندرية من أجل الانضمام لحزب النور. فيما بعد حدث هجوم كبير على المسيحيين ممن دخلوا الأحزاب الإسلامية من المواقع النصرانية ومن الشخصيات الكبيرة مثل نجيب جبرائيل فانقطعوا عن الحضور وحدث انزواء ، رغم أنهم في الاجتماعات الأولى كانوا يحضرون! [٢٥] . ورغم تأكيد عبد الغفور لنا أن الوجود القبطي في الحزب كان من كافة الطوائف المسيحية ، ولم يقتصر على طائفة بعينها إلا أن المتحدث الرسمي السابق للحزب محمد يسري سلامة يرى غير ذلك حيث"اقتصر ذلك على عدد محدود من الإنجيليين المرتبطين بعلاقات تجارية مع بعض أعضاء الحزب. كما وُضعت آليات تمنع وصولهم إلى مراكز عليا في الحزب. وكان ذلك كله بطبيعة الحال مصدر إزعاجٍ كبير للجانب القبطي الذي رأى في فكر هذا التيار وقوته المتنامية تهديدًا حقيقيًّا لوجوده ومكتسباته التي حصل عليها في ظل الدولة (شبه) العلمانية السائدة" [٢٦] .

وعندما أقاموا مؤتمرا خاصا بالمرأة كمحاولة لبعث رسالة طمأنة للمجتمع المحلي والخارجي بأن الإسلاميين لا يمانعون في المشاركة السياسية للمرأة. كما أنهم أكدوا أن مشاركة المرأة السياسية هي أقل

---

٢٣. عماد عبد الغفور شاهد على عصر الحركات الإسلامية ، م س ، بتصرف يسير

٢٤. على سبيل المثال نجدهم رافضون لبعض الإجتهادات التي تقول بسقوط الجزية. وعلى ذلك لا تكون للفظة "المواطنة" نفس مدلولاتها القانونية والسياسية لدى "الدعوة" ، حيث نجد تحفظها على لفظة "الوحدة الوطنية"فإن قصد به التعايش السلمي والاشتراك في وطن واحد نعيش فيه جميعًا تحت مظلة الشرع؛ فمعنى حسن. وإن قصد به مساواة الملل، والإقرار بصحتها؛ فمعنى باطل، قبيح منكر" كذلك لفظة "الإخوة المسيحيين" فهذا مرفوض فالأخوة في الوطن والنسب والإنسانية لا تقتضي مودة ولا موالاة، فإذا كان يخاطبهم بذلك مع كونه يخبرهم بكفرهم، ويدعوهم إلى التوحيد والإيمان، وتَبَرَّأ من شركهم فلا بأس، أما أن يكلمهم بالأخوة ساكتًا عما وجب عليه من الدعوة والبيان ليفهموا من ذلك المحبة والمودة فهو مبطل".وبذلك فالمناصب السياسية ليست متاحة لهم على مصراعيها ، فالأساس فيها هو الهوية الدينية قبل الكفاءة حيث يحرم عليهم مناصب "الولايات" سواء منصب المحافظ أيضا عضوية المجالس التشريعية ، وبالطبع الرئاسة أو نائب الرئاسة ، وإنما يمكن أن يكونوا مستشارين. ولمزيد من التفاصيل حول هذه العلاقة كاملة انظر: أحمد زغلول ، الأقباط والدعوة السلفية ، ورقة بحثية غير منشورة

٢٥. عماد الدين عبد الغفور شاهد على تاريخ الحركات الإسلامية ، م س

٢٦. محمد يسري سلامة ، السلفيون والأقباط ، م س

مفسدة، لكن هذا لا يمنع من تغيير موقفهم التقليدي من عدم جواز مشاركتها على اعتبار أن المجالس النيابية من الولايات العامة [٢٧].

ثانيًا: جدلية العلاقة بين الشيخ والسياسي . حزب النور مثالا

لم تظهر أزمة العلاقة بين الشيخ والسياسي في مشروع حزبي الفضيلة والأصالة كما حدثت في حزب النور بسبب أن مشروع حزب الفضيلة كان بدعوة من الشيخ محمد عبد المقصود الشيخ البارز فيما يسمى بسلفية القاهرة وغيره من المشايخ وهي حالة مشايخية تماما ترفض التنظيم والعمل الجماعي وبالتالي فالدعوة في البداية كانت لمشروع حزب برعاية الشيخ ، وبسبب خلافات شخصية صرفة انقسم المشروع وخرج حزب الأصالة لذا لم يتعرض لمثل هذه الأزمة. المتتبع لخطوات حزب النور منذ التأسيس يستطيع ملاحظة أن كل الوقائع التي حدثت تُشير إلى بودر أزمة تعصف بحزب النور وقياداته المؤسسين وذلك بسبب سرعة التوجه للعمل السياسي الحزبي وعدم التخطيط المسبق ودراسة هذه التجربة ، حيث مرت العلاقة بين الدعوة والحزب بثلاث مراحل: "التخبط - الإنكار- السيطرة".

في البداية عانت الدعوة السلفية من حالة من "التخبط" بسبب "ارتباك اللحظة الثورية" وتسارع الخطوات في هذه المرحلة الزمنية الفاصلة في حياة الدولة المصرية وفي حياة الدعوة السلفية ، حيث فشلت الدعوة في إدارة "أزمة" الثورة المصرية فلم تشارك فيها ، ولم تضع أي احتمالات لنجاحها وظنوها مثل غيرها من الوقفات وسوف يقضي عليها النظام [٢٨]، أيضا فرغم تحركهم في الثامن من شباط وإقامه أول مؤتمر لهم رغم أن البعض "حاول تأجيله أكثر من مرة"[٢٩] إلا أن خطابهم لم يحمل مشروعًا حقيقيًا يدل على التحامهم باللحظة واستعدادهم لها فكان مشروع "الهوية" حيث تحركت الدعوة كقوة ضغط رمزية أكثر منها كلاعب سياسي في هذه اللحظة. وبسبب سوء إدارة الدعوة لحدث"الثورة" وعدم تفاعلها مع مراحلها كانت طرح د.عماد عبد الغفور لفكرة الثورة بمثابة "الصدمة" لديهم فرغم موافقة محمد اسماعيل المقدم على الفكرة إلا أنه كان يرى " أننا لسنا بقادرين على هذه الخطوة!"[٣٠] . ثم أتت مرحلة "الإنكار" للصلة بين الدعوة والحزب عندما سألت برهامي في أوائل أبريل عن الحزب الذي بدأ في جولاته الميدانية وسط أقاويل بأنه تابع للدعوة بسبب دعم من بعض قواعدها له قال [٣١] :"الدعوة السلفية ستظل دعوة ولن تتحول إلى حزب ، لكن أنا أعلم أنه هناك أُناس في القاهرة والإسكندرية لا أستطيع أن ألغي عنهم وصف السلفيين هم يَروا مشاركتهم الدعوية ليس لهم كبير مشاركة فيها ، وأن لهم رغبة في المشاركة السياسية ، ونحن قلنا أن قضية المشاركة السياسية في الجملة أحد الوسائل التي يمكن استغلالها في الدعوة إلى الله ، اخترنا حراسة الدين ومن يريد أن يشارك بفاعلية أكبر بتكوين حزب أو نحو ذلك فلا يُخرجه عن كونه سلفياً".وبعد حالة الزخم التي بدأ يحققها الحزب كانت مرحلة "السيطرة" على الحزب يقول برهامي[٣٢] :"حزب النور أسسه أشخاص من الدعوة، ناقشنا الأمر وبعد ذلك وافقنا عليه ووافقنا على أن ندعمهم. أبناء الدعوة هم من أسس الحزب. وهل يخرج الابن عن طاعة أبيه؟؟ هؤلاء أبناء الدعوة".

في تلك الفترة بدأت تظهر للعلن أولى الأزمات الناجمة عن إزدواجية العلاقة بين الحزب والدعوة وهي إستقالة المتحدث الرسمي للحزب د.محمد يسري سلامة وهجموم الشيخ سعيد عبد العظيم عليه بسبب ثنائه على الروائي الراحل "نجيب محفوظ" ، هذه الواقعة رآها برهامي " نوعًا من النقد الداخلي،

٢٧. عن هذا المؤتمر انظر: أحمد زغلول ، السلفيون للمرأة: دينك يحتاجك خارج البيت ، على الرباط التالي:
www.islamyun.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=997&itemid=157
٢٨. عن مواقف الدعوة السفية والثورة المصرية انظر: الإسلاميون والثورة ، م س.
٢٩. عماد عبد الغفور شاهد على عصر الحركات الإسلامية ، م س.
٣٠ عماد عبد الغفور شاهد على عصر الحركات الإسلامية ، م س ، بتصرف يسير، وانظر لتفاعلات شيوخ الدعوة مع الفكرة وردود أفعالهم الأولى تجاهها.
٣١. www.islamyun.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=882&Itemid=157
٣٢. www.islamyun.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=999&Itemid=157 ومنه ستكون غالب الاقباسات.

وحق أن يُنتقد طالما أن هناك مخالفة للأدلة الشرعية" ، هُنا سألته عن النموذج الذي يتبناه في ضوء التجارب السابقة فقال" نريد أن نصنع نموذجا فريدا، ليس هناك تيارات سياسية سابقة علينا تجذبنا، وما نريد تحقيقه في مصر هو تجربة مصرية سلفية خالصة جديدة، والتجارب مثل تركيا والمغرب مختلفة عما نحن عليه في مصر، تلك الدول لم تمارس سياسة بعد ، فالسياسة الحقيقية في عموم الدول تكون إذا زال الاستبداد ، أما في وجود الاستبداد فلا سياسة، وكل الممارسات لا وجود لها" ولم يُفصِّل أكثر. وإن كانت الممارسات الفعلية تشير إلى محاولات السيطرة على الحزب باسم "المرجعية الشرعية" ٣٣ ، رغم أنه دائم التأكيد على أن "أبناء الحزب هم من يقررون، هناك آليات للحزب، والدعوة لن تتخذ القرارات عوضا عن الحزب، نُبين حكم الشرع ، ونُبين لكل واحد وليس للحزب فقط، وعامة الحزب سواء من المؤسسين أو من أعضائه من أبناء الدعوة الذين يرجعون في شؤونهم الدينية إلى مشايخ الدعوة، والباب مفتوح للحزب وللجميع".

ثالثًا: حول المشاركة السياسية السلفية في مصر وتحدياتها

بعد مرور عامين على الوجود السلفي بتنويعاته في الساحة السايسة المصرية بدأ يخفت ألق المشاركة والتجربة عموما وسط اعتياد المجتمع على تواجدهم في الساحة ، وبدت تحديات فرضت وجودها على التيار السلفي أبرزها:

١- الانشقاقات المتزايدة في الأحزاب السلفية أدت إلى فقدان السلفية السياسية جزءًا كبيرًا من مصداقيتها ومشروعيتها الأخلاقية والأدبية بسبب بعض الفضائح الأخلاقية لبعض النواب ، فضلا عن الصراعات الحادثة بحزب النور والتي أعطت للبعض صورة غير أخلاقية تجاه أُناس يرونهم يتصارعون من أجل المناصب. وهذا سيكون له تأثيره على حجم التمثيل الانتخابي السلفي القادم ، فالزخم الذي أثاره حزب النور في المعادلة السياسية يعود جزء كبير منه إلى حالة الاصطفاف السلفي حوله باعتباره الحزب السلفي الأول الذي خرج للوجود. لكن تداعيات الأحداث السياسية أدت إلى حالة من التشرذم السلفي ليس فقط بتعدد الأحزاب السلفية بل بانقسامات وسط كتلة التيار السلفي العام نتيجة الموقف من المرشح الرئاسي المستبعد حازم صلاح أبو اسماعيل وبسبب رفض الدعوة دعم حازم ٣٤ وتفضيل أبو الفتوح عليه انفض عنها جنب من مؤيديها الغير مؤطرين -تنظيميا- بها الذي كونوا بفكرة حازم تيارا قويا هدد الكيانات القائمة.

٢ - أزمة النور - كنموذج للسلفية السياسية- سوف تتكرر في أي كيان حزبي آخر خاصة وأن هذه الكيانات كلها لا تزال تدور فعليًا حول " أشخاص " وليس برنامجًا محددًا وهيكلًا إداريًا منضبطًا. فرغم كاريزميا "حازم أبو اسماعيل"وحالة الزخم الشعبوية التي يثيرها إلا أنه يعجز عن انشاء حزب بسبب مركزيته في التيار ، وعدم وجود برنامج محدد أو كيان منظم يستطيع السعي نحو بناء حزب ، ونفس الأمر في الجبهة السلفية وحزبها "الشعب" وغيرها من المشروعات الحزبية السلفية المطروحة.

٣- الأداء السياسي للنور بعد مرور عامين يشير لأزمة لديه بسبب غياب العقل السياسي للحزب - خاصة بعد ابتعاد د.عماد عن المشهد - رغم محاولات بعض القيادات الحالية التواجد واثبات مواقفها بالتصريحات الحادة حينا وبالمبادرات حينا آخر. كما أن وجود كيانات سلفية قوية ضده يجعل المنافسة على الأرضية السلفية حادة سواء أكان حزب الوطن أو غيره لذا يسعى لتوسع دائرة التحالفات ، ونتفهم ذلك بطرحه لبند في المبادرة يقول بالمصالحة مع رموز الحزب الوطنى الذين لم يثبت عليهم أو

٣٣. لمزيد من التفاصيل انظر كتابنا "الإسلاميون والثورة " ، أوراق للنشر ، ط١، ص ٩٥:١٠٤ ، كذلك انظر إلى مذكرات مؤسس فى حزب سلفى ، م س.
٣٤. لمزيد من التفاصيل انظر: أحمد زغلول ، بعد ترشح خيرت الشاطر ، من سيدعمه الإسلاميون ؟ على الرابط التالي
www.islamyun.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=1101&Itemid=159

تقدم ضدهم بلاغات بالفساد السياسى أو المالى.[٣٥] ثم نجد محاولاته اثبات نفسه كمعرض يملك حلول للمشكلات المجتمعية [٣٦] بعدها نجده يعود بمشروع الهوية الإسلامية وهذا ما نراه في الموقف من عودة العلاقات مع إيران حيث وجدنا حزب النور ، يصعد من نبرة خطابهم تجاه الجماعة الحاكمة [٣٧].

٤- وتأتي العلاقة مع جماعة الإخوان المسلمين لتزيد حالة التشظي في المشهد السلفي ، حيث تنظر الإخوان إلى السلفيين على أنهم جزء منها باعتبار أنها الجماعة الأم والرافد السلفي جزء من تكوينها التاريخي ، في حين تتعامل الدعوة السلفية مع الإخوان بندية وترى أن نجاحها يكون بتواجدها القوي أمام الإخوان وليس بالتقارب معها ، التخوف الموجود يعود إلى أنه بمرور الوقت قد يبتلع الرافد السلفي بالإخوان الجماعه السلفية. وتثير التجاذبات السياسية الحالية مابين كيان معارض بشدة للجماعة ، وما بين كيان آخر يدافع باستماتة عنها مزيد من التشرذم داخل الحقل السلفي ، ويبدو ذلك في المواجهات السلفية السلفية بين الدعوة السلفية وقياديها من جانب وبين السلفية الحركية وشيوخها من جانب آخر في الموقف من التقارب مع إيران ومن الموقف من الرئيس كحاكم شرعي وغيرها من سياساته أيضا وكذلك بين شيوخ الدعوة وبعضهم البعض .[٣٨]

وفي ضوء عامين من الممارسة السياسية السلفية نجد أن:
- هذه الممارسات رغم ما سببته من زيادة في حالة التشرذم السلفي إلا أن أهم مزاياها هي أنها تساهم في إزالة القداسة عن التيار السلفي حيث تسقط الطهورية عن الأداء والمواقف والأشخاص ، حيث يجد الجميع أنفسهم أمام بشر بمعنى الكلمة يتصارعون ويختلفون حول أمور دنيوية مثلهم مثل باقي الكيانات الحزبية ، وهذا يساهم في إعادة التوازن في النظرة إلى الشيوخ التي ساهم بعضهم عن قصد وبدون قصد في الإيحاء للمتابعين بأنهم لا يسعون إلى أي مكاسب دنيوية حيث اكتشف الناس أنهم في النهاية بشر. كذلك تعتبر نوع من التمرين السياسي الذي يؤدي في المدى المتوسط والبعيد إلى صقل التجربة السلفية السياسية مما يؤدي إلى مزيد من النضج الذي لا يتأتى سوى بالممارسة.

ورغم محدودية المراجعات الفكرية التي أحدثها الربيع العربي في بنية التيارات السلفية إلا أبرز إنجاز تم هو ما حدث من تسييس للكتلة الأكبر من التيار السلفي الصامتة ودفعها للعمل السياسي بعد طول احتجاب لعدم وجود كيانات متنوعة تحمل فكرهم ما بين كيانات حزبية رسمية أو جماعات ضغط. وبذلك قد تصبح بمرور الوقت البديل لبعض الأنظمة الإخوانية.

٣٥. في حين كان النور يقدم مبادرة أثارت الصف الإسلامي ضدها كان الوطن يقيم مؤتمر للزراعة وآخر للسياحة ودعم المستثمرين فى شرم الشيخ"
انظر: أحمد زغلول ، حزب النور . هل يبقى الحصان الأسود؟ ، على الرابط التالي
www.islamyun.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=1405&Itemid=157

٣٦. أحمد زغلول ، حزب النور.هل يصلح لقيادة المعارضة المصرية على الرابط التالي
www.islamyun.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=1427&Itemid=157

٣٧. للتفاصيل انظر: أحمد زغلول ، السلفية السياسية في مصر . مزيد من التخبط على الرابط التالي
www.islamyun.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=1482 &Itemid=157
أيضا انظر: لإخوان والسلفيون. إلى أين؟، على الرابط التالي www.islamyun.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=1391&Itemid=157

٣٨. في هذه المواقف المتناقضة تجاه جماعة الإخوان المسلمين انظر: الشيخ سعيد عبدالعظيم: مرسى ولى أمر شرعي والخروج عليه محرَّم على الرابط التالي http://shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=08062013&id=dfc1e528-ace8-4775-9455-5d518036e8a1
ياسر برهامي: "مرسي" ليس حاكماً شرعياً أو خليفة للمسلمين.وغير قادر علي التدخل لوقف الصراع الحالي
www.elwatannews.com/news/details/144370
عبدالمقصود حزب النور يعرض نفسه علي البيت الأبيض كبديل للإخوان في حكم مصر. والسلفيون يخوضون حملة ضد مرسى
http://almogaz.com/news/politics/2013/04/26/877835
القيادي السلفي محمد عبد المقصود: أعضاء حزب النور عملاء لـ«مباحث أمن الدولة» www.almasryalyoum.com/node/1439211

التيار السلفي في تونس: التحولات، التحديات والأفاق

فتحي السعيدي

على خلاف ما يتصور, فإن التيار السلفي هو أكثر التيارات مرونة و قدرة على التأقلم مع المتغير. و ذلك لوضوح و كمال الرؤية العقدية. في لحظة مفصلية يتغير الواقع على الأرض فتتغير معه الرؤية الشرعية للواقع فينزل الحكم الشرعي الجديد كي يُتبنى مباشرة. قمة المرونة و الوضوح في التعامل مع المتغير. لأن القرار موجه بضوابط محددة (وهي الضوابط الشرعية). قبل الثورات. يتمثل الواقع في مواجهة حدية خطية مع الغرب و شبكاته و توابعه, من أنظمة و أجهزة. بالنسبة للسلفيين, قبل الثورة, الأرض في يد الكتلة المعادية.

تأتي الثورة, مجال الحركة على الأرض تغير. أصبحت الأرض الآن حقلا مشتركا للكل. للعمل. الأنظمة ليست لها نفس الحرية السابقة في التعامل مع شعوبها. الفرد,المجموعة ,الشعب. أصبحت لها حرية و أصبح لهم صوت. هذا الصوت, مكسب شعبي أخذ التيار السلفي بعض نصيبه منه.

السرعة التي هيكل بها التيار السلفي عمله في تونس بشكل مؤسسي و كذلك انتشاره السريع بين أطياف الشباب, حتى شباب كرة القدم, تدل على طاقة بشرية كبيرة, كانت مقموعة ثم وجدت هامشا من الحرية لإثبات وجودها. أسس التيار السلفي في فترة وجيزة جدا المئات من المدارس القرآنية و المعاهد الشرعية و روضات الأطفال و هو الآن يؤسس لمدارس ابتدائية و ثانوية و حتى جامعية. كما توجه إلى إنشاء شبكات اقتصادية و تنظيم نفسه نقابيا و أنشأ حزبان سياسيان. في أقل من سنتين. التحولات كانت من خارج التيار السلفي. الإشكالية بالنسبة لهذا التيار لم تكن, في الأساس, مسألة تحولات فيه. بل فتح مجال له كان في السابق مغلقا أمامه. مجال الحراك الشعبي.

من الخطوط العريضة العامة للثورة, تبرز أربعة :

١) الإنفجار الثوري النقطي زمانيا و الممتد في المكان
٢) مرحلة الإرتداد أو محاولة الإرتداد
٣) مرحلة بروز الرموز الكاريزمية الموجهة للثورة بالتوازي مع حركة الإرتداد
٤) مرحلة قمع الإرتداد

إذا اعتمدنا هذه الخطوط كمنطلق نجد أن الأوضاع في تونس و مصر, الآن, هي في مرحلة تشكل الرحم الذي سينتج هذه الرموز. الرموز تنتج عادة في الجهة المقابلة لقوى الردة عن الثورة. قادة الثورة البولشيفية وجدوا في الجهة المقابلة لقوى الردة.

ماهي الجهة المقابلة, أو التي يُدفع بها كي تكون المقابلة, لقوى الردة عن الثورة ؟ هي القوى السلفية !! أصبح للتيارات السلفية المعادية للأجندة الأمريكية في المنطقة, فضاء حر. هذا مستجد. و هذا يحصل في زمن لم يحسم فيه الصراع بينها و بين أمريكا.

تحول هذه التيارات السلفية المعادية بشدة للأجندة الأمريكية من العمل التنظيمي النقطي السري إلى العمل الجماهيري الموجوي ذي الطاقة الإستقطابية العالية, أدخل الرؤية الأمريكية و من لف لفّها في منطقة ضباب و تخبط استراتيجي.

حاولت أمريكا عبر تأثيرها على الأنظمة, في تونس مثلا, إعادة جر هذه التيارات إلى مربع المواجهة العنيفة. في حين تشبث التيار السلفي ببساطه الشعبي الجديد. و تجربة أنصار الشريعة في تونس خير دليل على ذلك.

محاولات جر هذه التيارات إلى العنف لها مكاسب جانبية كبيرة لقوى الردة عن الثورة. و منها توجيه الأنظار عن الأهداف الحقيقية للثورة, و التي منها محاسبة هذه القوى. و كذلك إنجاب صراع وهمي منفوخ فيه, إعلاميا, بأسلوب لا يعرف خطوطا حمراء في الإبتذال و العنف الإعلامي.

التداعيات

خوف القوى العلمانية في البلاد من فقدان ما تعتبره مكاسب, جعلها تقطع كل الخطوط الحمراء و تتصرف بعُمي صدمها مع مقومات الشعب و مقدساته. الشعب الذي اعتبرته هذه القوى مسؤولا عن صعود التيار الإسلامي للحكم. أي مسؤولا عن مأساتها.

المفارقة أن هذا الخرق للخطوط الحمراء لم يؤثر في الإسلاميين الذين صعدوا للحكم و ذلك لغرقهم في الحسابات السياسية. حسابات خرجت عن المألوف فتبين عبرها الإنهاك و الفراغ العقدي الذي وصل إليه الحكام الجدد. هذا الخرق استفز الشعب المسلم و استفز, أكثر, نخبة في هذا الشعب و هم المسمون بالسلفيين. أي النواة الأكثر وضوحا عقديا في هذا الشعب و بالتالي الأكثر تفاعلا مع كل ما يمكن أن يمس المقدسات. الأنظمة الإسلامية الصاعدة تحكمها البراغماتية و غائب عنها الموجه العقدي. الحركة السلفية يحكمها الموجه العقدي و غائب عنها التمرس البراغماتي.

تلتقي الليبرالية الغربية مع التوجه الإخواني في جانبها البراغماتي و في نسبية الخطوط الحمراء. ما هو خط أحمر الآن قد لا يكون كذلك إذا تغيرت الظروف أو موازين القوى أو الوقائع. الحوار مع الإخوان كان, في وقت قريب, خطا أحمرا سياسيا بالنسبة للغرب. لم يعد كذلك. الشذوذ الجنسي كان خطا أحمرا اجتماعيا و أخلاقيا بالنسبة للغرب. لم يعد كذلك. تعذيب الأطفال كان خطا احمرا في السينما الأمريكية. بعد أن هوجمت أمريكا في عقر دارها و تغير العدو من السوفيات إلى المسلمين أصبحنا نرى في السينما الأمريكية تعذيبا للأطفال أو إيحاءا بذلك.

الحوار مع التيار السلفي الجهادي, هو الآن خط أحمر دبلومسيا و سياسيا. إلى متى سيبقى كذلك؟
عندما يغير أصحاب القرار حدود خطوطهم الحمراء يغير من هم في قاطرتهم نفس الخطوط بالتبعية.
لما سيفرض على أصحاب القرار الغربي الحوار مع التيار السلفي الجهادي, سيحاول أتباع الغرب في بلداننا الحوار مع التيار الجهادي بالتبعية.

هل سيقبل التيار الجهادي, حينها الحوار مع الأتباع. قد يقبل مع الغرب ! و لكن مع الأتباع !؟
بالنسبة لما يسميه الإعلام "تيارات جهادية", هي في الواقع كتل بشرية وجودها مرتبط بوضوح العقيدة و ثبات الخطوط الحمراء. خطوط حمراء واسعة جدا فيما بينها تجعل هامش مناورتها التكتيكية كبير. هامش يتسع للحوار مع الأسياد, و يضيق عن الأتباع. مع الوضوح العقدي, لا يمكن طرح, و لا مجال, لتغيير الخطوط الحمراء. هذا ما يفرق الآن, في الساحة, بين التيار السلفي و الآخر. إن كان الآخر مسماه حداثيا أو إخوانيا أو تجمع قوى الردة عن الثورة.

دراسة حالة : أنصار الشريعة في تونس

تمكن التيار السلفي في تونس من آليات جديدة للعمل. آليات انتبهت لها أمريكا, فوعتها, أرهبتها, فاستعجلت فدفعت بالنهضة, و دخلت معها و بها, في صراع مرجّل متخبط, ولكنه وحشي بربري, مع الشباب الملتزم في تونس. آليات العمل الجديد لشباب الصحوة في تونس, كان من أثرها و فاعليتها أن استوردتها أقطار إسلامية أخرى, كموريطانيا و ليبيا و ربما قريبا غيرها من الأقطار. يخطئ من يعتقد أن شباب الصحوة الإسلامية هم من يُجرون إلى رد الفعل.

ماذا اكتشفت أمريكا ؟

أمريكا و من لف لفها لم تعد قادرة على مجارات السرعة التي تنتشر بها الصحوة شعبيا و تحولها من ظاهرة نقطية تنظيميا إلى مد جماهيري شعبي مدني كاسح. أمريكا تستنفر كل قواها و جهدها لإعادة الصحوة الإسلامية إلى مربع الصراع التنظيمي السري المسلح. أنصار الشريعة في تونس أصبحت تنظيما. لو تركوها تشتغل لبقيت مجموعة دعوية تنشر الأعمال الخيرية في الجبال و المناطق النائية في البلد ليس بمقدورهم تركها تشتغل. لأنها أصبحت أول تجربة جهادية ذات نشأة مدنية تعمل على البساط الجماهيري.

التجربة ناجحة جدا ! التوسع الجماهيري لأنصار الشريعة و سرعته مثيران للدهشة و الإعجاب. توجد تجربة أنصار الشريعة في اليمن و ليبيا. و لكنهما ولدتا من رحم تنظيمات مسلحة. أنصار الشريعة - تونس, الأولى التي نتجت في بنائها, من الأساس, من الرحم المدني و بفكر جهادي. هذا ما أرعب أمريكا. حتى إن أنصار الشريعة - ليبيا غيرت إستراتجيتها و تآخت مع المنهج العملي لأنصار الشريعة - تونس.

و هذا شباب موريتانيا, قد أنشأ تنظيما مدنيا لأنصار الشريعة - موريتانيا على منهاج تونس. أصبحت التجربة نموذجا. أصبحت التجربة منهجا عمليا, ميدانيا. الإستقطاب للصحوة الإسلامية بمضمونها الجهادي, بهدف بناء دولة الخلافة, أصبح استقطابا شعبيا عاما. لم يعد نخبويا.

بتبنيه للعمل الدعوي و الإجتماعي, و مع خلفيته الميدانية, ذات الوجه الخاص جدا سياسيا, أخذ الفكر الجهادي قطار الموجة الجماهيرية بل و أصبح يقود هذا القطار. هذا جديد على أمريكا !! هذا مخيف لأمريكا !! تريد أمريكا أن تئد التجربة الجديدة للرؤى التنظيمية الجهادية في مهدها تونس فوظفت لذلك النهضة. ماهي دلائل هذا التطور النوعي في الفعل التنظيمي للعمل الإسلامي:

إن التطور النوعي الظاهر للمستوى الإداري و السياسي و في التفكير الإستراتيجي, لأنصار الشريعة - تونس, لا يمكن أن ينتج إلا عبر تكوين لعناصره و دورات ممنهجة و علمية. أصبح لأنصار الشريعة, مكتب سياسي مثلما لها مكتب شرعي. يبرز هذا المكتب أكثر من ذاك حسب الظروف و المواقف. المواقف السياسية و قراءة الأحداث, لأنصار الشريعة متميزة و ذكية ينتج عنها فعل ميداني مدروس و دقيق. مما يبين وجود نخبة فكرية داخل التنظيم توجه القرار السياسي و لميداني.

أصبحت أنصار الشريعة متواجدة شعبيا بل و مسيطرة على كثير من المدن و الأحياء الكبيرة في البلاد مما مكنها من التصرف بامتياز كبير في سحب فتيل الفتنة في أحداث مؤتمر القيروان, حيث جند النظام كل طاقاته لمنع مؤتمر القيروان و كان مستعدا للقيام بمجزرة تدخل البلاد في أتون حرب أهلية, لا قدر الله.

فتُحول أنصار الشريعة, بقدرة تنظيمية عالية و في سويعات, مؤتمرها من القيروان إلى حي التضامن في العاصمة على بعد مائة و خمسين كيلومترا, و أقامت مؤتمرات محلية أخرى في العديد من المدن في البلاد من شمالها لجنوبها في نفس الوقت. فبهت النظام و تفتت جهده. كانت النية مبيتة لتفجير الوضع. كيف نفجر الوضع ؟

بقتل شاب أو رمز هنا و هناك ؟ قد ينجح هذا في العراق أو باكستان أو لبنان. و لكن ليس في تونس لاختلاف الأرضية. أرسلوا في ليلة المؤتمر فتاة من منظمة "فيمن" باتت في فندق في القيروان بحماية الأمن. يوم غد تتوجه الفتاة بنية تعرية نفسها في جامع عقبة بن نافع, تمر الفتاة عبر الأجهزة الأمنية و تكتب اسم منظمتها على المقبرة الإسلامية. هذا فعل يمكن أن يفجر الوضع في تونس. تذكروا أحداث السفارة و انفجار الوضع حينها, الفيلم المسيء للذات الإلهية عز و جل, و انفجار الوضع, معرض العبدلية المسيء لرسول الله صلى الله عليه و سلم, و انفجار الوضع. بالمقابل, قتل ستة عشر من شباب الصحوة الإسلامية بشكل قروسطي بشع, و لم ينفجر الوضع. قتلت امرأة, زوجة أحد شباب الصحوة الإسلامية, في غرفة نومها, و هي ترضع صغيرتها. و لَطَّخ دمُ الأم رضّاعة الصغيرة. و لم

يتفجر الوضع. قتلُ الأفراد لا يفجر الوضع نتيجة لفهم الكتلة الإسلامية للمؤامرة, فهذه الكتلة حققت مكاسب و لاحظت أنها بالعمل المدني الشعبي حققت ما لم تحققه بأشكال العمل الأخرى, على الأقل في تونس. قد لا يكون هذا الأسلوب مناسبا في بعض الأقطار الأخرى. و لكن في تونس الأسلوب مناسب. فتحمل شباب الصحوة و تمسك بضبط النفس. ما يفجر الوضع هو التجرؤ على مقومات تونس و مقدساتها. قدمت الفتاة كي تعري نفسها في جامع عقبة. تفجر الوضع فعلا, و لكن ليس بالشكل الذي كانوا يريدونه. أهالي القيروان هم من رد الفعل و ليس شباب الصحوة الذي كان محاصرا بالآلاف في المساجد. أهل القيروان انتفضوا ثم توجهوا ففكوا الحصار عن الشباب. زاد الزخم الشعبي لأنصار الشريعة. من كان وراء استقدام هذه الفتاة بحماية أمنية للقيروان, المغلقة حينها ؟ من هي الجهة التي استقدمتها ؟ من خطط ؟ ما الهدف ؟

الإطار الإقليمي

تقع تونس, الآن, بين ليبيا و فراغها الأمني مع توفرها على الأسلحة, و الجزائر مع عمقها, خطورتها و غموض الرؤية فيها. حاجة الجزائر للموازنة بين الإستقرار في تونس و بين رغبتها في الحد من الإنتشار السلفي يضعها تحسب تحركاتها بدقة. فهي تريد لتونس استقرارا يترك لها المتنفس البري الوحيد السليم. حيث أن حدودها الجنوبية و الجنوبية الشرقية مخترقة أمنيا من التنظيمات الجهادية المقاتلة, و حدودها الغربية و الجنوبية الغربية مغلقة مع المغرب. ليس لها إلا حدودها الشرقية الممتدة و الوعرة مع تونس. و بالمقابل تنظر الجزائر بعين حذرة جدا لتنامي التيار السلفي في تونس.

التكنولوجيا لم تعد عائقا. الإرادة السياسية لدى مجموعة بشرية في تونس, كبيرة كانت أو صغيرة, مع توفر التميز لدى عناصرها, يمكن أن يوفر الآليات التكنولوجية و التكتيكات القادرة على زعزعة استقرار الجنوب الأوروبي و بوابة الجانب الغربي للبحر المتوسط, و ذلك في حالة غياب الإستقرار عن تونس.

الآفاق. أو دعنا نقل الحتمية التاريخية

١) التوجه العلماني في المنطقة و ربما في العالم انتهى تاريخيا و هو في لحظات احتضاره. المؤشر : الإستقطاب الجماهيري الواسع ذي المضمون العقدي الواضح, بيد الإسلاميين. قد نجد استقطابا عاطفيا أو نقطيا للأطراف الأخرى مثل استغلال مقتل شكري بلعيد في تونس و جنازته, و لكنه تجمع مصلحي أو عاطفي تهييجي ليس له جذور تاريخية و لا بنيوية.

٢) التجربة الإخوانية أو ما شابهها كالنهضة في تونس قدر لها الله, سبحانه و تعالى, أن تنال فرصتها لتبيان عدم أهليتها. العمل الإجتماعي على عمقه و طول عمره لا يُنتج كيانات تاريخية سليمة. الحركة العسكرية أو السياسية هي التي تنتج كيانا سياسيا. الحزب الشيوعي هو الذي أنتج الدولة السوفياتية و الدولة الصينية. حركة غاريبالدي العسكرية هي التي أنتجت الدولة الإيطالية..النشأة الجمعياتية للإخوان رسبت فيها, بشكل لا يمكن محوه, تشوهات لا تسمح لها ببناء الشخصية التاريخية الحاسمة. إن كان على مستوى الفرد أو التنظيم. رحم التيار السلفي هو المؤهل لبناء هذه الشخصية التاريخية بنيويا. فهو إما تيار نتج عن خبرة عسكرية أو تيار قادر على بناء النهج السياسي المميز و ذلك لنقاء طرحه العقدي.

٣) التيار السلفي هو الحاضنة لإنجاب قيادات المرحلة المقبلة. هو الطرف المواجه للجانب الذي يجب أن ينتهي. أي الأنظمة الموجودة حاليا.

٤) مقولة أن التيار السلفي ليس له الطاقات و لا المؤهلات لتسيير دولة, تبقى جرعات طمأنة أكثر منها قراءة موضوعية للحظة. لحظة نقلة نوعية. لحظة ثورة. فلتُذكر لنا ثورة واحدة أعتبر عناصرها, قبل حصولها, من رجالات الدولة؟ الثورة تنجب رجالاتها للدولة.

السلفيون في لبنان
إشكالية العبور من الدعوة إلى السياسة في مجتمع متنوع

د. عبد الغني عماد

ليست الحالة السلفية حديثة النشأة في لبنان، وإن كانت شهدت في العقدين الأخيرين نمواً ملحوظاً، وامتداداً من بعض المراكز المدينية والمسجدية إلى حواضر وتجمعات شعبية وريفية، فضلاً عن تطور أساليب عملها من جهود فردية يقوم بها دعاة بمفردهم إلى جهود جمعياتية ومؤسساتية تشرف عليها وتشترك في إدارتها طاقات شابة متنامية في الحقل التربوي والصحي والإعلامي فضلاً عن المشايخ والدعاة المؤسسين لهذه الجمعيات. هذا بالإضافة إلى بدايات تبلور خطاب سياسي كانت تفتقد إليه فيما سبق.

النشأة والبدايات: لا شك أن تأثير الشيخ محمد رشيد رضا يرخي بظلاله على تلك البدايات، فهو منذ أن كتب عن الدعوة الوهابية في ثلاثينات القرن الماضي، ورغم زياراته القليلة إلى طرابلس، العاصمة الثانية للبنان، ذات الغالبية السنية المحافظة، ترك أثراً هاماً في وعي أبناء وعلماء المدينة، فقد كانت سلفيته عقلانية ومرنة مطعمة بتأثير أستاذه محمد عبده.

لم يكن انتشار السلفية الوهابية سهلاً في الحواضر المدينية اللبنانية، ففيها ترسخت وعلى مدار قرون الاشعرية كعقيدة لأهل السنة والجماعة والمذهب الحنفي كفقه معتمد لغالبيتهم، ونسج علمائها مع الأزهر الشريف العلاقات الوطيدة حيث من علمائه الكبار كانوا ينهلون المعرفة والعقائد والفقه ما جعله مرجعيتهم الشرعية والتربوية، لذلك انتشر بين مساجد طرابلس وبيروت وصيدا وغيرها من المدن والحواضر السنية في الريف اللبناني علماء الأزهر يعلمون ويدرّسون ويعظون.

لم يكن هذا يعني أنه لا مكان للدعوة السلفية في هذه البيئة الفكرية، بقدر ما يعني أن الدعوة لها لم تكن أمراً سهلاً فقد كان أبرز علماء طرابلس وغالبية مشايخها من خريجي الأزهر، المتأثرين بالتيارات الفكرية السائدة في أروقته حينها، ولم يكن رائجاً التوجه إلى المعاهد والكليات الشرعية في السعودية لتلقي العلم الشرعي إلا فيما ندر، قبل أن يصبح هذا الأمر منذ الستينات والسبعينات أمراً مألوفاً وينطلق مع الثمانينات، وليكون من نتائجه المباشرة دوراً متناهياً داخل المؤسسة الدينية السنية لهؤلاء الخريجين الذين حملوا معهم مؤثرات الدعوة السلفية الوهابية، بل أن هذا الدور لم يقف عند حدود المؤسسة الدينية والدور الوعظي والدعوي داخل المساجد، وإنما بدأ يفعل فعله على تخومها وفي بيئتها من خلال الأنشطة الدعوية ذات الطابع الجمعياتي والوقفي النشط.

من أبرز الدعاة المؤسسين للدعوة في لبنان الشيخ سالم الشهال [٣٩]، الذي بدأ مسيرته بالدعوة السلفية في طرابلس منذ أواسط أربعينات القرن الماضي الذي اطلع خلال رحلاته إلى المدينة المنورة في السعودية

---

٣٩. توفي عام ٢٠٠٨ عن عمر ناهز ٨٦ عاماً أمضى غالبيتها في الدعوة السلفية التي بدأها بعد عودته من المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٦ وتحديداً من المدينة المنورة مؤسساً "شباب محمد" في البداية ثم أطلق عليها اسم "الجماعة مسلمون".
- له كتابات صدرت في المنار، ثم صدرت في كتابين الأول تحت عنوان: الوهابيون والحجاز (١٩٢٥) والثاني الشيعة والسنة (١٩٢٩).

على الدعوة السلفية واجتمع بعدد من علمائها، وتأثر بهم، وحينها بدأ تركيزه على محاربة البدع وكل ما يسيء إلى صفاء العقيدة ثم ما لبث أعلن تأسيس "الجماعة مسلمون" عام ١٩٤٧ يوم لم تكن هناك أية جماعة إسلامية في لبنان. وقد ذاع صيت هذه الجماعة حينها واستطاعت ان تستقطب بعض الوجوه والعلماء الذين بايعوا الشيخ سالم أميراً، وكان بينهم حينها الشيخ سعيد شعبان وفتحي يكن، بل أن هذه الجماعة تجاوز تأثيرها مدينة طرابلس إلى البلدات والقرى وحتى إلى المحيط في الداخل السوري. كان جلّ تركيز عمل هذه الجماعة وخطب أميرها تدور حول تنقية المعتقدات والشعائر من البدع والخرافات وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي لم يتوقف عند الحدود القولية فقط، وهذا ما أوقعها في ممارسات أدت لاصطدامها مع البيئة الطرابلسية وعاداتها من جهة وجرّ عليها ملاحقة قوى الأمن للعناصر التي كانت تقوم بمثل هذه الأعمال، ومنها تصرف بعض أفراد هذه الجماعة الذي أكدّ ما كان يشاع أنهم سيرشقون وجوه النساء السافرات بماء الفضة، أو أنهم سيتصدون بالعصي لمنكرات الجنائز، أو أنهم سمينعون النساء من الخروج إلى المقابر صبيحة عيدي الفطر والأضحى، أو أنهم سيحطمون لوحات صور الدعاية إلى الأفلام السينمائية التي كانت تطوف شوارع المدينة حينها على أصوات قرع الأجراس، إلا أن الأهم هو تصديهم للطرق الصوفية وما يرافقها من طقوس واعتقادات تمس صميم الدين، خاصة وأن للصوفية وطرقها في طرابلس تأثير وتاريخ عريق، زاد من ذلك تصدي هذه الجماعة واعتراضها على وما كان يحدث من احتفالات وطقوس بدعية بنظرهم عند إخراج الشعرات النبوية في المسجد المنصوري [٤٠] الكبير في طرابلس حيث كان هذا الاحتفال من أهم وأضخم الاحتفالات الذي يجتمع عليه أهل المدينة سنوياً [٤١]. كما اهتموا بإحلال الفصحى بدل العامية وبصحة إخراج حرف الضاد خلال قراءة القرآن. يرجّح الداعية فتحي يكن أن الأمير الشهال لم يكن موافقاً على الكثير من هذه الممارسات التي عجلت بتعريض الجماعة وشبابها للملاحقة المبكرة والاعتقال من قبل الأجهزة الأمنية، وهو ما أدى إلى تقلص الجماعة وتكوين تصوّر سلبي عنها في البيئة الطرابلسية.

لكن الشيخ الأمير صمد على دعوته وقناعاته محاولاً إزالة تلك الالتباسات، متنقلاً بين المساجد، خطيباً وواعظاً وناقداً لكل البدع والمخالفات التي يراها، إلا أن شيئاً من التسييس بدأ يطرأ على خطابه بدءً من الستينات، توجّه بترشحه للانتخابات النيابية عام ١٩٧٢، وكان هذا الترشح المفاجئ حينها، مؤشراً على إمكانية تكيّف السلفية الوهابية "الملبننة" في النظام السياسي اللبناني وقبولها مبكراً، بآليات الاندراج باللعبة الديمقراطية، في مجتمع متنوع سياسياً وطائفياً ومذهبياً، يتربع على رأس هرمه السياسي مسيحي ماروني، مع ما يعنيه ذلك من اعتراف بالمنظومة التشريعية الوضعية وآليات عملها.

سجل الشيخ الأمير هذه السابقة بترشحه، فلم يسبقه إليها أي سلفي وهابي في ذلك الحين، قبل أن يصبح الاندراج في الخيار الديمقراطي والانتخابات حالة متفشية بينهم بعد نقاشات وخلافات عديدة استمرت حتى التسعينات من القرن الماضي ولا تزال آثارها حتى اليوم. كانت انتخابات العام ١٩٧٢ اللبنانية آخر انتخابات قبل الحرب اللبنانية التي اندلعت عام ١٩٧٥، فالذين فازوا بها مددوا لأنفسهم حتى العام ١٩٩٢، وقد كانت تلك الانتخابات مثيرة بنتائجها ومرشحيها، فقد شهد برلمان ١٩٧٢ وصول وجوه شابة جديدة تمثل أحزاب لم تكن قد تمثلت من قبل في المجلس النيابي. يبدو أن الشيخ الأمير سالم الشهال كان يتطلع إلى تمثيل حالة إسلامية جديدة في المجلس النيابي، يخترق فيها حدود طرابلس التي انحصر فيها نشاطه إلى حد ما. لكن هذا التطلع اصطدم بمشروع "الجماعة الإسلامية"، الفرع اللبناني للإخوان المسلمين، والتي كان يرأس أمانتها

٤٠. شهادة شخصية من الداعية فتحي يكن في الأمير سالم الشهال بتاريخ ..انظر الرابط
http://www.daawa.net/display/arabic/efuqh/efuqhdetail.aspx?eid=13&etype=2

٤١. في المسجد المنصوري الكبير يوجد شعرة من أثر الرسول قدمها السلطان عبد الحميد الثاني لمدينة طرابلس عام ١٨٩١ هدية، وقد وصلت إلى ميناء طرابلس من اسطنبول بباخرة عسكرية واستقبلت بفرحة عارمة تسلمها الشيخ حسين الجسر، وكان يفترض ان موضع الأثر في الجامع الحميدي، لكن الشيخ علي رشيد الميقاتي أقنع علماء المدينة أن توضع في الجامع المنصوري الكبير لكونه أكبر مساجد المدينة وأعرقها. والأثر الشريف محفوظ في وعاء مذهب في الجهة الجنوبية الغربية من الرواق الغربي في خلوة آل الميقاتي التي كانت قديماً موضع مكتبة المسجد وصارت تعرف بغرفة الأثر يجلس فيها القراء والحفظة بعد صلاة العصر طوال أيام شهر رمضان ويختمونه في اليوم التاسع والعشرين بحضور مفتي المدينة. ويجري احتفال ضخم سنوي يتقاطر إليه أبناء المدينة والطرق الصوفية والمحيط يقبلون الأثر ويتبركون به.

العامة حينها الداعية فتحي يكن، والتي نجحت منذ تأسيسها في أواسط خمسينات القرن الماضي، بتكوين حالة شعبية منظمة ومتنامية. فقد رشحت الجماعة على نفس المقعد احد أعضائها وهو المحامي محمد علي الضناوي، لذلك بذلت جهود مضنية ومفاوضات طويلة بين الطرفين، تتوجت بانسحاب الشيخ الشهال لصالح مرشح الجماعة الذي رغم ذلك لم يفز بالمقعد حينها [٤٢].

مع انفجار الحرب اللبنانية عام ١٩٧٥ لم يسجل للسلفيين في لبنان أي دور بارز، عدا المحاولة المتواضعة مع بداية الحرب لتشكيل فصيل عسكري رعاه الشيخ الأمير سالم الشهال تحت اسم "نواة الجيش الإسلامي"، والذي انحصر وجوده في احد مناطق وأحياء طرابلس بين (١٩٧٥-١٩٧٦) ولم يلبث أن تم حلّه كما غيره من المجموعات المسلحة، مع دخول قوات الردع العربية عام ١٩٧٧ إلى طرابلس وباقي المناطق اللبنانية. جرت محاولة لإحيائه من جديد أواسط الثمانينات في فترة توسع انتشار حركة التوحيد الإسلامية في طرابلس، إلا أنها لم تكن ناجحة.

لماذا طرابلس؟

ثمة حقيقة تميّز الجماعة السنّية في طرابلس ولبنان في بنيتها التاريخية والثقافية، فهم سكان ثغور ومدن في الغالب الأعم، ولا يخفى ما لسكان الثغور في العالم الإسلامي من دور وفضل وأجر وتزكية، وهذا ما يجعل سُنة لبنان ينظرون إلى مسؤوليتهم التاريخية بإعتبارها تتجاوز الجانب الجهادي ببعده المادي لتطاول حراسة العقيدة والدعوة لها. الا ان الوجه الآخر للصورة يتجلى في أن سكنهم في المدن والسواحل جعلهم مع الأيام أكثر إنفتاحاً على "الآخر" وأكثر مرونة في التعامل معه بحكم الإختلاط والتعارف والتفاعل مع عالم البحار وما وراءه وما يأتي عبره، من تجارة وروابط اقتصادية وخدماتية. الذهنية المدينية جعلت عروبتهم أكثر عقلانية وواقعية، بل أكثر تكيفاً واستيعاباً وحداثة، وجعلت إيمانهم أكثر تفتحاً وإسلامهم أكثر تسامحاً وقبولاً للآخر. هذه الصورة المزدوجة، الجهادية والمدينية لا تعبر عن انشطار في الشخصية السنية اللبنانية، بقدر ما ترسم حقيقة الإشكالية وحدودها. وعلى خلفية هذه الصورة المزدوجة ولكن المتكاملة يمكن تحليل مجمل المواقف والاتجاهات العامة التي تعتبر بمثابة "محركات ذهنية" للشارع السني وخاصة الجماعات الإسلامية الناشطة في إطاره، بل حتى لجماعات الإسلام السياسي عموماً بالإضافة إلى هذه العناصر تشكل طرابلس حالة خاصة بين مدن الساحل في بلاد الشام، فهي لطالما كانت العاصمة لإحدى أهم الولايات وهو ما جعلها ترتبط تاريخياً بالداخل السوري عبر شبكة من العلاقات المعقدة، اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً.

تأسس لبنان وفق تركيبة طائفية لم يقبلها سُنة لبنان بسهولة وعندما قبلت زعامات بيروت السنية بالصيغة اللبنانية، بقيت طرابلس على إصرارها العنيد المطالب بالوحدة السورية نظراً للروابط الاقتصادية والتجارية والعائلية التي تربط عائلاتها ونخبها بالداخل السوري. إلى أن جاءت التسوية عام ١٩٤٣ بين الرئيسين بشارة الخوري ورياض الصلح على أساس العدل والمساواة بين مختلف الطوائف والمناطق، الأمر الذي لم يحصل.

ومع أن طرابلس انخرطت عن قناعة وصدق في مشروع الدولة بعد الاستقلال، إلا أن منطق الامتيازات والهيمنة الطائفية الذي حكم لبنان حينها جعل طرابلس احد ضحاياه. لذلك خسرت امتدادها الاقتصادي مع الداخل السوري، ولم تربح في المقابل اندماجاً ولا دوراً اقتصادياً واجتماعياً يتناسب وحجمها أو تاريخها في التركيبة اللبنانية. تحولت طرابلس بعد أن كانت أحد أبرز عواصم مدن الشام إلى هامش مدني يجتمع على أحياء مفككة وعلى اقتصاد مخلّع الأسس ومقطوع الجذور مع محيطه، في ظل ما يشبه سياسة إفقار وإضعاف منظم للمدينة، الأمر الذي جعلها عاصمة للاحتجاج والاعتراض الدائم على سياسات النظام، وهو احتجاج واعتراض اتخذ تعبيرات إسلامية، عروبية، سياسية، متنوعة.

٤٢. أنظر لمزيد من التفصيل كتابنا: الحركات الإسلامية في لبنان، إشكالية الدين والسياسة في مجتمع متنوع، دار الطليعة - لبنان، ٢٠٠٦، ص٣٠٩ وما بعدها.

سلفية المؤسس، بلا مؤسسة

ضمن هذا الاجتماع السياسي الذي تميزت فيه طرابلس تحرك الإسلام الدعوي وكذلك كافة تعبيراته السياسية، ووجد فضاءً مناسباً وبيئة مقبولة. كانت سلفية الشيخ الأمير تتميز ببساطتها، حتى أن الشيخ فيصل مولوي أحد أبرز قادة العمل الإسلامي في لبنان، قال: "قد يكون بعضنا يختلف مع أميرنا (سالم الشهال) في مسألة فقهية، لكني لم أشعر أنني اختلفت معه في مسألة فقهية، رغم أن الواقع يشير إلى أنه هناك الكثير من الخلاف، لكنه كان حريصاً على المحبة وعلى الأخوة والنصيحة اللطيفة التي لا يمكن أن تصل إلى اتهام النوايا أو أي التكفير والتجريح كما فعل كثير ممن يتلطون بالسلفية وهم على قدر كبير من الجهالة.." ٤٣.

والواقع أن سلفية الشيخ سالم كانت سلفية مبسطة، وخالية من التعقيد، تميز فيها بأسلوبه الهادف إلى إيصالها إلى العامة، وفي واحدة من مقابلاته النادرة أواخر أيامه ٤٤، يعبر عنها على الشكل التالي: "ما نريده هو الأخذ من الكتاب والسنة كما علمنا إياه رسول الله بلا زيادة. النقصان يكون حسب الاستطاعة. أما الزيادة فلماذا؟ فمثلاً الذين يضربون الشيش أو يطبلون في "النوبة" أو الصلاة على النبي في المآذن، كلها لا أريدها. حتى بناء المآذن في المساجد لا أوافق عليها لأن لا لزوم لها خصوصاً في هذا الزمان لجهة النفقات. تعد المئذنة شعيرة إسلامية، المئذنة ليست من الدين ولا أمر بها النبي. أشياء كثيرة دخلت على الدين نرفضها. كلمة الشيخ مثلاً ليست لقباً إسلامياً. فأي شخص كبير في السن لا تعرف أسمه تقول له يا عم يا شيخ ولا يعني هذا أنه عالم في الدين أو حتى مسلم. كذلك لا نقبل الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف ولا نعتبره عيداً مطلقاً. السنة الهجرية لا نوافق على الاحتفال بها أيضاً أو تسميتها عيداً أو جعلها عطلة رسمية. العيد عيدان فقط، عيد الأضحى وعيد الفطر ولكن ليوم واحد وليس لثلاثة أيام. والتبرك بالموتى وتسميتهم قديسين أو أولياء لا يجوز مطلقاً وإنما التمسح بالكعبة وارد، دون أن يطلب منها أن تحقق له مطلباً، حتى إن عمر بن الخطاب قال عن الحجر الأسود: "إنني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك". إذن يجوز أن تقبل الحجر الأسود لكننا لا نعتبره شيئاً. وزيارة الأضرحة ليست مطلوبة، وكذلك لا يجوز أن نعمّر القبر. ونحن لا نقبل إلا الحديث الصحيح ولو كان مضمونه جيد. إقامة الآذان يجب أن يكون شخصياً، أحسن الموجودين صوتاً يؤذن ولكن لا يجوز زيادة شيء على الآذان، لا أناشيد ولا مدائح، ولا استغفار ولا ابتهال، أما مكّبر الصوت فيكون حيث لا يزعج عند الضرورة." ٤٥. وهذا التعريف الموجز والمبسط للدعوة السلفية يدعمه الشيخ في خطبه بالعديد من الآيات والأحاديث والحجج الشرعية.

وفي سبيل تصحيح العقائد وتنقية الممارسات والإيمان من البدع يعلن أنه لا يؤمن بالعمل السري، وهو منذ خمسين سنة كما يقول لم يلجأ إلا إلى العمل العلني والمجاهرة بالحق أسوة برسول الله. ويرفض التفسيرات المتشددة في أسلوب العمل الحركي ويعتبر أن الإسلام لم يأمر بالمبادرة إلى العدوان، بل يأمر بردّ العدوان ويستشهد بالعديد من الآيات القرآنية ومنها: وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. ويقول: "من يتأمل القرآن تماماً يقدر أن يفهم الحق من عند الله، ولكن يجب أن يكون منصفاً. الله يأمر بالعدل والإحسان. والإنجيل يقول: "أحسنوا إلى من أساء إليكم. باركوا لاعنيكم، من ضربك على خدك الأيمن فدر له الأيسر".

وبعض الناس من المسلمين يقبل ذلك وبعضهم يقول ما هذا الدين؟ لكن القرآن فيه المعنى نفسه. ففي القرآن قال: "لأقتلنك. قال: إن أنت بسطت يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين، وهذه مثل مفهوم الإنجيل حول الخد الأيسر" ٤٦. ويؤكد رفضه لمسألة تكفير الشيعة "فهذه لا

٤٣. من شهادة شخصية للشيخ فيصل مولوي انظر الرابط http://www.ikhwan.net/archive/showthread.php?t=39529

٤٤. مجلة المسيرة اللبنانية في ٢٠٠٠/١/١٧

٤٥. مجلة المسيرة، ٢٠٠٠/١/١٧.

تجوز. لا يمكن أن نقول عن شخص إنه كافر. قد يكون ما هو عليه كفراً وقد يكون ليس عالماً بذلك أو مخطئاً وقد يسامحه الله. هناك شرك عندما نقول مثلاً إن الله له مساعد خلق معه الدنيا. هذه لا يسامح بها الله مطلقاً. أو كأن نقول أيضاً إن له أبناً. هو لا ابن له ولا أب ولا جد. هو الأول والأخير وحده. هذا شرعاً نقول عنه كافر". في المسائل العقيدية لا تهاون عند الشيخ الأمير سالم الشهال، ومع ذلك، يعتبر أن للكافر حساباً عند الله ولا يجوز الفتوى بقتله، بل يستنكر ذلك كله: "لا أقبل ذلك، أعوذ بالله، كيف يجوز قتله والله يقول: ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق وأيضاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين. يرفض الشيخ الحلول الوسط في المسائل العقيدية: "كلمة الحلول الوسط تعبير عصري. الإسلام يقول لكم دينكم ولي ديني وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلوني. الإكراه في الدين لا يمكن ولا يجوز مطلقاً. ولكن لو وجد حاكم ظالم، لنقل إنه مسلم، أو هو يقول إنه مسلم، وأحب أن يجبر أحداً على الإسلام. فهذا الأحد لا يكون مُجبراً ويقدر أن يفعل ما يريد لأن الأصل القلب وليس اللسان." وإذا كان الحكم في بلد ما غير إسلامي وعادلاً يبقى في رأيه "كافراً ولا يكون عادلاً في شيء. إذا وجد حاكم عادل فعلاً، مثلاً كسرى أنو شروان كان يعبد النار وكان عدلاً. لكن هل أتباعه مثله؟". المنطلق عنده "أن الحكم لله" لكنه يرفض الأفكار التي يتداول بها البعض مثل "خذوا الإسلام كله أو اتركوه كله. هذا لا أراه صواباً". كذلك لا يقبل الحقد "فالله يقول: "ولقد كرمنا بني آدم" ولكن التكريم لا يتم إلا بقبول الإيمان أي الإسلام". وعندما نقول: "الحمد الله رب العالمين". معنى ذلك أننا نشكر الله على ما أعطانا وأنعم علينا نحن والإنكليز واليابان والفرنسيين والعالم كله".

يعترف الشيخ سالم بأن السلفيين لديهم فكر واحد، لكن ليس لديهم تنظيم واحد، وأثناء التطبيق يحصل الخطأ والاجتهاد، وكل إنسان مسؤول عن نفسه. ومعنى الدعوة السلفية "أن المسلم لا يكون إسلامه صحيحاً إلا عندما يكون مذهبه سلفياً أي عقيدته، بمعنى أنني لا أقبل شيئاً جديداً في الدين. إنه مثل الشمس التي رآها الصحابة ونراها نحن كما رأوها." ٤٧ وينفي الشيخ أي علاقة بالسعودية، لكنه يستدرك "ربما هناك علاقة مع بعض العلماء من السعوديين". وهي علاقة يصفها بأنها علاقة تناصح وتعاون في سبيل الله.

اللافت بالشيخ صراحته فهو يعترف أن هناك بعض الأمور الخلافية مع بعض العاملين في حقل الدعوة، فمثلاً عن ظاهرة انتشار النقاب وتغطية الوجه يقول: "هذا ليس مطلوباً وأعتقد أنه خطأ. ليس ضرورياً وضع غطاء على الوجه، والأحسن الكشف إلا في أماكن وظروف خاصة. المصلحة والصواب أن يكشف عن الوجه لأن في ذلك فوائد كثيرة. تغطيته خطأ والقول إنه واجب فهو بغير حق. ومن يقولون ذلك هم أقلية في كل حال". وهذه قضية خلافية. والبعد السياسي في التيار السلفي المدرسي والدعوي كان ولا يزال ضعيفاً، هكذا بدا الشيخ المؤسس دائماً أكثر تحفظاً من أبنائه وتلاميذه ومريديه، فهو يتعاطى مع الحقل السياسي بحذر شديد وتقليدية موروثة، فعن مقاومة حزب الله في الجنوب اللبناني يقول: "الناس متفقون أن مقاومة الاحتلال اليهودي صواب ولا خلاف على الجهاد ضده. حماس أيضاً تقاومهم وهي من السنة". وحول جواز عقد الصلح معهم يقدم جواباً مرتبكاً: "صعب القول نعم أو لا في هذه المسألة. قد تجوز الهدنة حسب الاتفاق. ولكن أن نقول إن الأرض لهم فلا يجوز. هم جماعة غرباء صادروا أراضي الناس وأملاكهم. وعقد اتفاق سلام في حال الضرورة يجوز، لأنه في حال الضرورة يجوز أكل الميتة ولحم الخنزير وسب الله. إذا اعتبر الحكام أن الصلح مع إسرائيل ضرورة لا فكاك منها فحسابهم على الله. نفهم أنه لا يجوز ذلك ولكنهم هم الذين يقدِّرون. إذا سألونا الفتوى نجتهد في الإفتاء وقد نغلط وقد نصيب" ٤٨.

٤٦. المرجع نفسه، ص٩.
٤٧. المرجع نفسه، ص١٠.
٤٨. المرجع نفسه، ص١٠.

أبناء الأمير ومريدو الدعوة

خلال الحرب اللبنانية بدأت الأمور بالتغير على الرغم من تركيز الشيخ على شؤون الدعوة والتربية، فقد أرسل خلالها الشيخ سالم أبناءه الثلاثة: داعي الإسلام، وراضي، وأبو بكر، لتلقي العلم الشرعي في المدينة المنورة وفق المنهج السلفي. فكانوا من أوائل الدفعات، التي بدأ بعدها الطلبة، ممن تلقوا أصول الدعوة السلفية العلمية بالتوافد على المدينة، وبدأ معها الجيل الجديد إدخال البعد الحركي والمؤسساتي إلى جانب الدعوي والتربوي. ومع تقدم الشيخ سالم بالعمر وانصرافه الكامل للعمل الدعوي، بدأ جيل جديد، من بينهم أبناءه، يعملون لتأسيس مشهد سلفي جديد يتخطى حدود طرابلس.

في الثمانينات انتعش التيار السلفي في إطار رواج هذا التيار ومقولاته في العالم العربي وبروز بعض رموزه التي بدأت تجدد في خطابها السلفي كالشيخ ناصر الدين الألباني، صاحب منهج "التصفية والتربية" وتركيزه على "التوحيد والأتباع والتزكية"، ثم بدأ يتسرب شيء من مما يعرف بالسلفية الحركية وأفكار الصحوة أو ما يعرف بالتيار "السلفي السروري"، لتأتي بعدها الحالة الأفغانية لتطلق موجة السلفية الجهادية التي وصلت رياحها إلى طرابلس.

بقيت دعوة سالم الشهال محصنة أمام كل هذه المتغيرات، توفي الشيخ عام ٢٠٠٨، وبقي وفياً لسلفيته الدعوية الوهابية العلمية، أو كما كان يسميها دعوة أهل السلف الصالح، ولم يتزحزح عنها، إلا أن كثيراً من طلابه ومريديه انفضوا عنه وشكلوا جمعيات وأطر خاصة بهم بعيدا عن مرجعيته، في حين انصرف أولاده وعلى الأخص ابنه الشيخ داعي الإسلام لترسيخ وتطوير مدرسة والده السلفية عبر تأسيس المدارس الدينية والعمل الخيري وبناء المساجد من خلال جمعية "الهداية والإحسان" التي شكلت الإطار الرسمي للحركة السلفية عام ١٩٨٨، والتي دخلت مبكراً في حرب فكرية وفقهية مع "الأحباش" - جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية.

في هذه الأثناء حدثت تطورات في الساحة اللبنانية، تركت تأثيرات بالغة الأهمية في مسارات العمل الإسلامي عموماً والسلفي خصوصاً، ذلك أن الاجتياح الإسرائيلي للبنان (١٩٨٢) كان محطة مفصلية بالنسبة لهم، فعلى وقع هذا الاجتياح الصهيوني الذي دخل إلى العاصمة بيروت انتعشت حركات الإسلام السياسي، بدءاً بتأسيس حزب الله، إلى حركة التوحيد الإسلامي التي قادها سعيد شعبان والذي جمعته بالشيخ سالم علاقات وميول سلفية قديمة. إلا أن حدثين ساهما في بلورة منعطف جديد للإسلاميين والسلفيين في لبنان:

- الأول تمثل بانفجار الصراع السوري الفلسطيني والذي كان من نتائجه معركتي البارد والبداوي وحصار طرابلس الأول الذي انتهى بخروج عرفات منها في ٢٠ كانون الأول ١٩٨٣ على ظهر سفينة وبحماية بوارج فرنسية، لتستمر بعدها المعركة مع حركة التوحيد الإسلامية (١٩٨٣-١٩٨٥) بشكل متقطع إلى أن انتهت بالحصار الثاني لطرابلس والقضاء عسكرياً على حركة التوحيد الإسلامية ودخول القوات السورية إلى طرابلس لتبدأ بعدها عملية اضطهاد واسعة لكل الإسلاميين، ولتبدأ من جهة ثانية مرحلة تمثلت بحرب المخيمات الفلسطينية (١٩٨٥-١٩٨٨) في بيروت والجنوب والتي شنتها قوات حركة أمل المتحالفة مع النظام السوري. نتج عن ذلك هذا الأمر تشتت الإسلاميين والسلفيين الذين لجأ بعضهم إليها، وتعرضهم لحملات الملاحقة والاعتقال، دون تمييز بين المقاتلين والدعويين.

- الثاني: تمثل باغتيال الشيخ نزار الحلبي رئيس جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية (الأحباش) في بيروت بتاريخ (١٩٩٥/٨/٣١)، وقد شكلت هذه الجمعية رأس الحربة في مواجهة السلفيين من داخل منظومتهم العقائدية، هذه الجمعية وطدت نفوذها في الشارع السني مستفيدة من تحالف وطيد مع النظام السوري. فقد شهدت المساجد والأحياء في هذه المدن مساجلات حامية ومحاولات سيطرة على المساجد وصلت إلى حد الشجار بالأسلحة، سقط فيها قتلى وجرحى، ومنها مقتل الشيخ أسامة القصاص في طرابلس الذي يعتبره السلفيين أحد دعاتهم. إلا أن حادث الاغتيال الذي أستهدف الشيخ الحلبي كان وقعه كبيراً

على الأحباش وحلفائهم، خاصة وأنه الحادث الأول في العاصمة بيروت على هذا المستوى بعد اتفاق الطائف (١٩٩٠) الذي اعتبر كمرحلة سلم أهلي في لبنان، الأمر الذي اعتبر تحدياً لسلطة الوصاية السورية على لبنان حينها. سرعان ما تكشف أبعاد الجريمة، وتبين أن "عصبة الأنصار" وهي إحدى التنظيمات السلفية السرية الفلسطينية التي يقودها أحمد عبد الكريم السعدي والملقب بـ "أبو محجن" هي التي تقف وراء الاغتيال، واعتقل المنفذون بعد أن اعترفوا متفاخرين بما فعلوه [٤٩]، وجرت محاكمة سريعة وتم إعدامهم (في ٢٤ مارس ١٩٩٧). الإعدام السريع أثار غضبة واسعة في الأوساط الإسلامية والسلفية [٥٠].

ولدت هذه التطورات المتسارعة مناخاً صدامياً بين السلفيين اللبنانيين وسلطة الوصاية السورية حينها ممثلة بأجهزتها الأمنية وبأجهزة الشرعية اللبنانية التي كانت تعمل بالتنسيق الكامل معها. تنقل مريدو الشيخ سالم حينها وبينهم ابنه الشيخ داعي الإسلام بين بيروت وإقليم الخرنوب في الشوف ثم صيدا البعيدة عن السلطة المباشرة للقوات السورية، وبدأ تحركه تحت عنوان "الجماعة والدعوة السلفية" في فترة الثمانينات، إلى أن تم توقيع اتفاق الطائف في العام ١٩٩٠، تغيّر معه أسلوب عمل "الجماعة والدعوة السلفية" التي تقدمت بترخيص رسمي للعمل تحت عنوان "جمعية الهداية والإحسان" انسجاماً مع مرحلة السلم الأهلي التي دشنها الاتفاق في ذلك الحين. وقد حصلت الجمعية على الترخيص الذي يحدد عملها في المجالات الدعوية والاجتماعية والتربوية والخدماتية، ونجحت بدعم وتمويل من بعض الشخصيات والمتبرعين السعوديين في إنشاء ما يقرب من خمسة معاهد تربوية وإذاعة.

في ظل الوجود السوري المباشر في لبنان بعد الطائف، ازدادت صعوبة العمل أمام السلفيين اللبنانيين، مع ذلك بدأت تتأسس مجموعات مدرسية سلفية متنوعة، مدشنة ميدان خاص بها، وإستراتيجية عمل اعتمدت على طريقة إنشاء المدارس والمعاهد والأوقاف، وخصوصاً بعدما بدأت ملاحقة بعض رموز هذا التيار عام ٢٠٠٠ ومنهم نجل الشيخ سالم الشيخ داعي الإسلام وحلّ جمعية الهداية وإغلاق مدارسه بسبب ما كان يدرسه المعهد التابع له من فكر اعتبر بنظر الحكومة حينها تكفيرياً ويحض على الفتنة لعدد من الفرق والمذاهب الإسلامية.

واجهت الحركة السلفية أكثر من انتكاسة، بعد الطائف منذ اغتيال رئيس جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية (الأحباش) الشيخ نزار الحلبي عام (١٩٩٥) إلى الصدام الدموي بين الجيش اللبناني ومجموعة جهادية سلفية، عرفت باسم (جماعة الضنية) أواخر عام ١٩٩٩، جرى بعد كل منها موجة اعتقالات طالت العشرات، تم بعدها ضبط الأنشطة السلفية على نحو محكم. واجهت الحركة السلفية بعدها انتكاسة أخرى لأسباب تتعلق بالسياق الدولي الناتج عن هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ في الولايات المتحدة وما تبعها من تفجيرات الرياض عام ٢٠٠٣ [٥١]. الأمر الذي أدى إلى خفض المنح والمساعدات الخارجية أو إخضاعها لشروط معقدة. ومع تراجع الدعم السعودي تنامت السلفية المدعومة كويتياً، في المقابل أدى إغلاق جمعية الهداية والإحسان السلفية، الجمعية الأبرز في لبنان، إلى المزيد من إضعافهم وتشتتهم.

لعب الشيخ زهير الشاويش [٥٢] دوراً هاماً في نشر الفكر السلفي في لبنان من خلال تأسيسه للمكتب الإسلامي والمطبوعات الغزيرة التي كان يصدرها في بيروت لتوزع في العالم العربي، كذلك بدأ الطلبة من خريجي الكليات الشرعية السعودية، وخاصة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة يلعبون أدواراً ناشطة في المساجد، وهذا ما حدث في البقاع اللبناني حيث ركز الشيخ الدكتور عدنان محمد أمامه والشيخ

٤٩. جريدة السفير البيروتية (١٩٩٧/٣/٢٥).

٥٠. عبد الغني عماد: الحركات الإسلامية في لبنان... مرجع سابق، ص٢١٨. أيضاً أنظر في هذا المجال الصحف اللبنانية، النهار والسفير والديار حول إعدام (أحمد الكم وخالد حامد وعبود .) وراجع خطبة الشيخ سعيد شعبان في الديار (١٩٩٧/٤/١).

٥١. جريدة الشرق الأوسط: ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٣. أدت التفجيرات التي استهدفت مجمعات سكنية للأجانب إلى قتل أكثر من ٤٨ شخصاً وجرحت أكثر من ١٥٠ شخصاً.

٥٢. زهير الشاويش (١٩٢٥-٢٠١٣): من مواليد حي الميدان بدمشق صاحب ومؤسس المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بدمشق منذ العام ١٩٥٧، وهو من أعلام السلفية في سوريا، وله العديد من المؤلفات والكتب والتحقيقات، وتخصصت مكتبته بنشر أمهات الكتب الإسلامية والسلفية. اعتقل أثناء حكم حافظ الأسد، ثم أطلق سراحه ونقل دار النشر إلى بيروت التي أصبحت مركز عمله وسكنه.

حسن عبد الرحمن على الدعوة والتعليم وإنشاء المدارس. وفي مدينة صيدا ظهرت أواخر الثمانينات الدعوة السلفية وهي اليوم ناشطة من خلال جمعية الاستجابة التي يشرف عليها الشيخ نديم حجازي، ومدرسة الصحابي عبد الله بن مسعود يديرها الشيخ أبو زكريا هدوي، وصولاً إلى العرقوب في أقصى الجنوب الذي تأسس فيه نواة عمل سلفي. المشترك بين هذه المكونات السلفية هو مرجعيتها السلفية العلمية وتركيزها على أولوية الدعوة والتربية، بعضها نجح في تأسيس مدارس وجمعيات طبية وخدماتية، وابتعادها عن التسلح والعنف والتسيّس. في الوقت نفسه بدأ التيار السلفي يتواجد في بيروت، هذا فضلاً عن توسعه في الشمال في عكار والضنية.

ما بعد انتفاضة ١٤ آذار

بعد اغتيال رفيق الحريري رئيس الحكومة اللبنانية عام ٢٠٠٥ وخروج القوات السورية من لبنان على وقع انتفاضة ١٤ آذار، تم تسوية الأوضاع الأمنية والقضائية للعديد من القوى والشخصيات بينها، سمير جعجع الذي خرج من السجن بعد أكثر من أحدى عشر سنة، وميشال عون الذي عاد من المنفى، وتم إطلاق سراح العديد من الموقوفين الإسلاميين والسلفيين، وشهدت بذلك الساحة الإسلامية تنشيط لحركة التيار السلفي على وقع حالة الاصطفاف السياسي والمذهبي الذي يشهده لبنان منذ ذلك الحين.

وقد بذلت جهوداً عديدة لجمع وتوحيد الجمعيات والمعاهد السلفية لكنها لم تؤد لنتائج كبيرة، وأبرز الجمعيات والهيئات السلفية الناشطة في لبنان هي:

- جمعية الهداية والإحسان برئاسة داعي الإسلام الشهال وتشرف على عدد من المؤسسات؛ جمعية دعوة العدل والهداية والإحسان برئاسة الدكتور حسن الشهال؛ معهد طرابلس للعلوم الشرعية برئاسة الشيخ فواز ازمرلي (وقف الأبرار)؛ مركز حمزة للولاء بإشراف الشيخ زكريا المصري (طرابلس)؛ جمعية الأخوة للإنماء والتربية، الشيخ صفوان الزعبي؛ جمعية الاستجابة الخيرية في صيدا وفروعها في الجنوب ويشرف عليها الشيخ نديم حجازي وتتبع لهذه الجمعية مراكز تحفيظ ومدرسة ومساجد مع رعاية للأيتام وفرع للدفاع المدني. وأصبح بالإضافة إلى ذلك مشرفاً على وقف إحياء التراث الإسلامي في لبنان والذي كان يتولاه الشيخ صفوان الزعبي منذ نيسان/أبريل ٢٠١٠، مركز وجمعية السراج المنير (بيروت)؛ مركز جمعية النور الخيرية في شبعا والعرقوب وفي بلدة الكفور قرب النبطية ويشرف عليها الشيخ أبو جهاد الزغبي؛ وقف البر والخير (الضنية)؛ المركز الإسلامي ومسجد عبد الرحمن بن عوف (البقاع، مجدل عنجر)؛ جمعية الإرشاد ومدرسة الإبداع (عكار)؛ وقف احياء السنة النبوية (الضنية)؛ دار الحديث للعلوم الشرعية (طرابلس)؛ وقف اعانة الفقير (طرابلس)؛ تجمع سنابل الخير (عكار)؛ وقف الخير الإسلامي ومسجد ومركز الأقصى (الضنية)؛ الوقف الإسلامي السني الخيري (زغرتا)؛ وقف الفرقان للبحث العلمي (طرابلس)؛ وقف البلاغ الإسلامي (طرابلس)؛ جمعية التقوى الاجتماعية الإسلامية؛ وقف الأمين الشيخ رائد حليحل؛ جمعية غراس الخير في مجدل عنجر الشيخ حسن عبد الرحمن؛ معهد الأمين بإدارة الشيخ بلال حدارة؛ و "معهد البخاري" في عكار الشيخ سعد الدين كبة؛ الوقف الخيري الإسلامي في صيدا ويرأسه الشيخ أحمد عمورة؛ جمعية التقوى الإسلامية في بيروت ويرأسها الشيخ جميل حمود. هذا فضلاً عن العديد من المعاهد والمدارس والجمعيات الصغيرة التي انتشرت في القرى البلدات السنية.

وهذه الجمعيات عموماً غير مسيّسة وغير منخرطة في المجال السياسي العام، إلا أن شرائح مهمة في هذا التيّار وجد من المناسب الاشتراك في الانتخابات، تأثراً بالاتجاه الذي اختارته الجماعة الإسلاميّة. فترشّح من هذا التيّار حسن الشهّال عام ١٩٩٢ في طرابلس وداعي الإسلام الشهّال عام ١٩٩٦ وحصلا على نتائج متواضعة، وشاركت هذه المجموعات أيضاً في "اللائحة الإسلاميّة" للانتخابات البلديّة في طرابلس عام ١٩٩٨. إلا أنه من الواضح أن التيّار الوهابي السلفي عموماً لم يحسم بشكل واضح خياراته تجاه المسألة الديمقراطيّة ككل، فهو في بعض أجنحته يتعامل مع الانتخابات كموسم لطرح الشعارات لا كخيار مبدئي للعمل السياسي فضلا عن انه لم يقدم خطابا سياسيا لبنانيا واضحا حتى الآن.

من الواضح إن الخط الغالب لدى السلفيين اللبنانيين فقهياً، هو الخط الإصلاحي الدعوي الخيري، وهم في الغالب ينحون بإتجه مؤسساتي تربوي، وتميزوا بصيغة " الوقف " حيث يكفي تسجيل احد العقارات بصيغة الوقف الخيري في المحكمة الشرعية لتصبح الجمعية المالكة لهذا العقار تابعة للأوقاف الإسلامية ولها الحق بمزاولة نشاطاتها بموجب شروط الوقف بعيدا عن رقابة وزارة الداخلية اللبنانية ولوائحها أو شروطها.

بين الدعوة والتسييس

شهدت هذه المرحلة انتعاشاً سلفياً واضحاً، شمل مختلف المحافظات والأقضية اللبنانية، بل أنه أمتد ليشمل المدن السنية الرئيسية كبيروت وصيدا فضلاً عن طرابلس. إلا أنه بقي متأرجحاً بين العمل الدعوي والسياسي، ومتصفاً بالتشرذم والتعددية. ومن الجمعيات السلفية الناشطة اليوم دعوياً ومؤسساتياً، مركز السنة ووقف التراث الإسلامي الذي كان يديره ويشرف عليه الشيخ صفوان الزعبي وأصبح اليوم يديره الشيخ نديم حجازي ويشرف عليه بدءاً من نيسان/ابريل ٢٠١٠ والذي يقيم علاقة قوية مع السلفيين الكويتيين، وقد نجح هذا التيار في إقامة سلسلة من المؤسسات التربوية والطبية والإسلامية في سنوات قليلة ومنها ثلاث مدارس في حلبا ووادي خالد في عكار وعاصون في الضنية في شمالي لبنان، ومدرسة الأخوة اللبنانية الكويتية في أبي سمراء ومركز طرابلس الطبي للتحاليل المخبرية وعيادة للأسنان وعيادة طبية تخصصية، فضلاً عن المستوصفات الطبية في العديد من الأحياء والقرى في طرابلس والشمال، وتعمل الجمعية على بناء جامعة الفيحاء وتشرف على مجموعة من المساجد (حوالي ١٥ مسجد وجامع) في مختلف قرى وبلدات الشمال، إضافة إلى المركز الضخم باسم مركز السنة الإسلامي في مدينة طرابلس فضلاً عن العشرات من الكتب والمطبوعات المجانية الدعوية والمحاضرات والدورات التثقيفية التي ينظمها علماء المركز في مختلف المناطق ٥٣.

في المقابل يعتبر الشيخ داعي الإسلام الشهال نجل الشيخ سالم، الأكثر راديكالية وتسيّساً في التيار الإصلاحي الدعوي والأكثر حراكاً ونشاطاً، والأكثر إثارة للجدل في الأوساط الإعلامية حتى العام ٢٠١٠ حيث برزت رموز أخرى، فجمعيته تعرضت عام ١٩٩٥ إلى الحل بقرار من مجلس الوزراء سبب نشرها بعض الكتب التي اعتبرت حينها معرضة على الفتنة المذهبية، ثم تعرضت الجمعية والشيخ نفسه للملاحقة عام ٢٠٠٠ أثر حوادث الضنية في شمال لبنان إلى الملاحقة، إلى أن تم تسوية الأمور واستعاد الترخيص بعد الانسحاب السوري من لبنان، يشرف الشيخ داعي على جمعية ومعهد الهداية والإحسان الإسلامي في طرابلس وهو يضم مدرسة متوسطة وثانوية شرعية لتخريج الدعاة والداعيات والراغبين بطلب العلم على منهج السلف الصالح، ويملك المركز إذاعة الكلم الطيب، (صوت الهداية والإحسان) وهي تغطي بإرسالها شمال لبنان والساحل السوري، افتتحت عام ١٩٩٢ ثم أغلقت عام ١٩٩٧ مع مختلف مؤسسات الجمعيات ثم أعيدت في آذار ٢٠٠٦، يصدر المركز نشر دورية بعنوان (دين ودنيا) وأخرى بعنوان (معالم الهداية)، ويمارس نشاطه الطلابي من خلال (نادي التوعية الطلابي) والأنشطة الدعوية من خلال لجان المساجد في الأحياء والقرى البلدات ٥٤.

يتخذ الشيخ داعي مواقف متشددة من حزب الله ومن النظام السوري الذي يدعمه والذي ضيق على التيارات السلفية في المرحلة التي حكم فيها لبنان، وارتفعت وتيرة مواقفه بعد أحداث ٧ أيار ٢٠٠٨ والتي قام فيها حزب الله بما يعرف بـ "غزوة بيروت" وصعد مقاتلوه إلى الشوف في جبل لبنان ٥٥، حين دعا إلى "النفير العام" بين شباب أهل السنة للرد على الاجتياح الفارسي حسب تعبيره. وهو تصدى بعنف لما

٥٣. أنظر مجلة الفدى الطرابلسية (عدد خاص) أسبوعية مستقلة، عدد ٤ تشرين /تشرين الأول، العدد ٤٠، السنة الثانية،، ٢٠٠٧، ص٤.

٥٤. النشرة الإعلامية الخاصة بجمعية الهداية والإحسان (٢٠٠٨)

٥٥. أحداث ٧ أيار تمثل التاريخ الذي اجتاحت فيه قوات حزب الله بيروت، وبعض قرى وبلدات الشوف في جبل لبنان بهدف السيطرة على مراكز تيار المستقبل والحزب التقدمي الاشتراكي والوسائل الإعلامية التابعة لهما، والتي لم يتدخل فيها الجيش اللبناني وسقط بنتيجتها ٨٠ قتيل و٢٥٠ جريح أغلبهم من المدنيين، ولم تنتهي الأزمة الناجّة عن هذا الاجتياح الذي عرف بـ "غزوة بيروت"، إلا باتفاق الدوحة، الذي قضى بانتخاب رئيس جمهورية وإجراء انتخابات نيابية وتأليف حكومة اتحاد وطني. أنظر تقرير مجموعة الأزمات الدولية رقم ٢٣ (٢٥ أيار/أيار ٢٠٠٨)، ص٩.

أسماء محاولات الاختراق للشارع السني من قبل حزب الله يوم توقيع الوثيقة بين الحزب وبعض التيارات السلفية [٥٦], وهو أعلن تنديده الشديد بالحملة على الرئيس سعد الحريري بعد أن بذل جهده لتعميق العلاقات الأخوية السورية اللبنانية، مؤكداً رفض لبنان التبعية لإيران "ولاية الفقيه" الفارسية [٥٧].

السلفيون في لبنان قوة متنامية بين الحركات الإسلامية، لم يكن العنف في منهجهم وهم بهذا حريصون على التميز عن تيار القاعدة، ويعملون ضمن إطار القوانين، ولكن بما لا يتعارض وأصول الشريعة الإسلامية وفق قناعاتهم، هم طاقة إسلامية ناهضة لكنها غير مسيسة وغير موحدة، يغلب عليها صيغة التيار أكثر من كونها تنظيم، وهم في غالبيتهم في ظل الاصطفاف القائم في لبنان حالة سنية مستقلة تنظر بحذر شديد لتنامي دور ونفوذ الشيعة في لبنان وتحذر من فائض القوة الذي يملكه حزب الله لذلك هم يدعمون تيار المستقبل بمقدار دفاعه عن السنة وينتقدونه حين يتخاذل عن هذا الدور. لذلك حرص حزب الله على اختراق هذه الكتلة وفي فتح حوار مع بعضهم لكنه لم يتطور [٥٨]، وهم أقرب إلى تيار المستقبل وتحالفاته منهم إلى حزب الله، رغم كونهم معادون لبعض توجهاته العلمانية والمدنية، ولهم مواقف صريحة ضد السياسة الأميركية في المنطقة وخاصة في العراق، حيث يرون أن هناك تواطئواً إيرانياً أميركياً يجري لتقاسم تلك البلاد، وفي هذا الإطار ينظرون بحذر بالغ إلى الحلف الإيراني السوري ممثلاً بحزب الله في لبنان، ويتحدثون اليوم بعد الثورة السورية عن مشروع صفوي جديد.

الثورة السورية وتداعياتها

إلا أن اندلاع الثورة السورية فاقم التوتر في الساحة اللبنانية في ظل الانقسام السياسي والطائفي الحاد والذي انعكس على مختلف الملفات السياسية. كان موقف غالبية التيارات السلفية يجنح بشدة باتجاه دعم الثورة السورية، الأمر الذي أدى إلى إشكالات أمنية في طرابلس وعلى جبهة بعل محسن - التبانة، تلك المنطقة الساخنة التي تنفجر فيها الأوضاع الأمنية كلما وصلت الأمور إلى حلقة صعبة. انفجر كل شيء، وعاد ملف الموقوفين الإسلاميين "السنة" إلى الصدارة، وهو ملف لا يزال بتّه مؤجلاً منذ العام ٢٠٠٦ دون أن يحاكم أفراده على خلفية معارك مخيم نهر البارد بين الجيش اللبناني وفتح الإسلام حينها، والتي تزامن معها وتلاها اعتقالات طالت بعض من يعتبروا أبرياء. تصدر السلفيون المشهد السياسي، وبرزت أسماء جديدة دفاعاً عن الموقوفين الإسلاميين مطالبة بإطلاق سراحهم، حيث اختلط ملف هؤلاء مع الأنشطة الداعمة للثورة السورية والرافضة لسياسة الانحياز والنأي بالنفس تجاه النظام السوري والخضوع لإملاءات جماعاته في لبنان، في إشارات واضحة لحزب الله وسياسة الحكومة اللبنانية ، وهو ما عبر عنه بشكل واضح الشيخ أحمد الأسير.

ما فاقم الأمور هو الاشتباكات المتتالية في طرابلس، ثم مقتل الشيخين أحمد عبد الواحد ورفيقه محمد حسين مرعب [٥٩] على حاجز للجيش اللبناني في عكار والتي سعت الحكومة إلى احتوائها منعاً لأي اصطدام مع الجيش. في خضم هذا الحراك برزت أسماء جديدة بدءاً من الشيخ عمر بكري الذي ما أن استطاع تسوية ملفه القضائي في المحكمة العسكرية بمساعدة من حزب الله على أمل احتوائه، حتى عاد لمواقفه السلفية المتشددة تجاه النظام السوري متخذاً من طرابلس مركزاً له، وصولاً إلى الشيخ نبيل رحيم الذي خرج حديثاً من سجن روميه بعد تسوية ملفه أيضاً بعدما كان متهماً بالتواصل مع

٥٦. انظر التصريح على الرابط http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=470676&issueno=10760

٥٧. انظر التصريح على الرابط http://www.assafir.com/Article.aspx?ArticleId=2694&EditionId=1680&ChannelId=39302

٥٨. نجح حزب الله في فتح حوار مع مجموعات سلفية من بينها صفوان الزعبي وحسن الشهال وتم توقيع وثيقة أثارت ردود فعل قوية في الوسط الإسلامي والسلفي، تم تجميدها والتراجع عنها أنظر الرابط http://www.aljond.com/vb/showthread.php?t=14882
أيضاً أنظر الرابط http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7571000/7571391.stm
كذلك نجح حزب الله في استقطاب الداعية الإسلامي السلفي عمر بكري الذي كان من أشد معارضيه قبل أن يعود وينقلب على حزب الله اثر اندلاع الثورة السورية أنظر الرابط http://www.shamikh1.net/vb/showthread.php?p=1058143214

٥٩. وقد قتلا على حاجز للجيش اللبناني وأثار مقتلهما حالة عارمة من الغضب ضد الجيش اللبناني.

القاعدة، إلى البروز الواضح للشيخ سالم الرافعي[٦٠] إمام مسجد التقوى، الذي نجح في تأسيس حالة سلفية متنامية في أحياء طرابلسية متعددة، إلى الشيخ زكريا المصري، إلى جانب عدد من المشايخ الذين يتناغمون مع هذا التيار كالشيخ كنعان ناجي أحد أركان حركة التوحيد سابقاً وقائد تنظيم جند الله، إلى الشيخ أحمد الأسير الذي أخذ يشكل حالة متنامية في صيدا.

إلا أن متغيرات جديدة سوف تطرأ على المشهد السلفي اللبناني على وقع أحداث الثورة السورية، والتي سوف يشعلها الانخراط المتزايد لحزب الله في دعم النظام السوري والذي تجسد في إرساله الآلاف من مقاتليه إلى جبهات القتال داخل سوريا، والتي كانت معركة القصير إحدى أبرز تجلياتها.

أبرز تجليات المشهد السلفي الجديد مع اندلاع الثورة السورية تمثلت عملياً بظاهرة "الأئمة الأمراء":
تمثلت الأولى في طرابلس من خلال بروز الشيخ سالم الرافعي إمام مسجد التقوى والذي نجح في استقطاب العديد من رموز الحالة السلفية وتكوين مرجعية جديدة ناشطة أكثر انفتاحاً واختلاطاً بالشباب، وأكثر تسيّساً وانخراطاً في المجال العام. نشاطه المتزايد ومواقفه الصريحة المؤيدة للثورة السورية وتبنيه منذ اللحظة الأولى مساعدة النازحين السوريين حوله إلى مركز جذب للعديد من الناشطين الإسلاميين، فضلاً عن تبنيه لقضية الموقوفين الإسلاميين في السجون اللبنانية والتي أصبحت قضية مزمنة في لبنان. نجح الشيخ أيضاً في استقطاب بعض المجموعات السلفية المتفرقة في الأحياء من خلال خطبه في المسجد الذي أصبح ملتقى لهم من خلال "مجالس الشورى" التي يعقدها الشيخ والتي تم فيها مبايعته أميراً.

يتميز الشيخ سالم الرافعي بابتعاده عن الإعلام وأسلوبه الذي جذب عدد من رموز الدعوة، إلا أن الأهم في تعاظم نفوذه ضمن التيار هو استناده إلى خلفية علمية وفقهية وعدد من الدراسات والكتب التي أنجزها، وهو ما ساعده على أن ينتخب كرئيس لهيئة علماء المسلمين في لبنان، وهي الهيئة الناشطة والجامعة لعدد كبير من العلماء الشباب، والتي من خلالها تصدر العديد من المواقف والفتاوى التي تعبّر بشكل متزايد عن مواقف السلفيين في لبنان وتحاول أن تقدم نفسها معبراً عن الطائفة السنية. وخاصة في نصرتها للثورة السورية واعلانها على لسان الشيخ الرافعي الجهاد لنصرة اهل الشام ردا على تدخل حزب الله في القصير .

تمثلت الظاهرة الثانية بما يعرف بحالة الشيخ أحمد الأسير إمام جامع بلال بن رباح في صيدا والذي بدأ بتشكيل خطاب أخذ يستقطب بعض المؤيدين تدريجياً، يركز فيه على الدفاع عن أهل السنة في لبنان في مواجهة ما يعتبره غلبة حزب السلاح الممثل بحزب الله وهيمنته، منطلقا مما اعتبره يوماً أسوداً في تاريخ لبنان لإذلال الطائفة السنية، في ٧ أيار ٢٠٠٨ يوم اجتاح حزب الله بيروت والجبل بسلاحه .

يشكل خطاب الأسير محاولة استنهاضية في إطار البيئة الإسلامية السنية التي يعتبر شرائح عديدة من الفصائل السلفية الناشطة في اوساطها إن تيار المستقبل- بصفته ممثلاً رسمياً للطائفة- مقصرٌ في الدفاع عن مصالحها. إلا أن عدم أصالة الانتماء السلفي للشيخ الأسير وحداثة حركته لم تجعله يحصل على ما يشبه التزكية من كل التيارات السلفية، ولم تسعفه بعد في التحول إلى مرجعية أساسية لهم، وإن كان بدأ يحصل بشكل تدريجي على شيء من التعاطف والتأييد [٦١].

تعود الأصول الفكرية والفقهية للشيخ الأسير إلى حركة التبليغ والدعوة أكثر مما تعود إلى التيارات

---

٦٠. يتحدر من عائلة طرابلسية معروفة، درس متنقلاً بين جامعة المدينة المنورة ثم جامعة القرآن الكريم في أم درمان السودانية ليحصل على شهادة الدكتوراه، مروراً بجامعة البنجاب الباكستانية، وصولاً إلى ألمانيا التي قضى فيها ما يزيد عن عشرة سنوات، إلى أن تم ترحيله وإلغاء سمة "الإقامة المفتوحة" عن جواز سفره في سلسلة إجراءات طالت المسجد الذي شغل إمامته في برلين.

٦١. يشكل الاعتصام السلمي المفتوح الذي بدأه الشيخ الأسير مع جماعته ضد هيمنة السلاح وحزبه في ٢٠ حزيران - أيار ٢٠١٢ في صيدا التحرك العملي الأول في مواجهة غير مباشرة وسلمية مع حزب الله وحركة أمل من خلال الشعارات المرفوعة في الاعتصام والذي أثار ردود فعل عارمة في لبنان بقي مستمراً أسابيع عدة على وقع خطاب شديد اللهجة ضد السلاح والهيمنة المذهبية .انظر للمزيد حول هذا الاعتصام على الرابط:
http://www.elnashra.com/news/show/494154

السلفية، ومن المعلوم إن هناك خلاف في النظرة السلفية إلى جماعة التبليغ، فالعديد من مراجعهم الكبار ينتقدون منهجهم بشدة، على الرغم من عدم تبديعهم والسماح لهم بالدعوة في السعودية. اللافت إن جماعة التبليغ تتشدد في منع أعضائها من التحدث بالسياسة في لبنان، بل ان خطباء المساجد المحسوبين عليها لا يقتربون من المواضيع السياسية على الاطلاق، وهو ما يعترف به الشيخ الأسير معتبراً نفسه "حالة خاصة" ومستقلة [٦٢].

في الواقع أثارت خطب وتصريحات الشيخ الأسير في لبنان الكثير من ردود الأفعال، فهي تضمنت لهجة هجومية قاسية طالت ممارسات حزب الله وتصريحات امينه العام بشكل تضمن الكثير من الجرأة والتحدي، وهو لم يوفر في انتقاداته القيادات السنية والتي وصف بعضها بـ "الانبطاحية" لأنها لم تدافع عن أهلها كما يجب. في المقابل مثلت هذه الخطب والتصريحات فعل الصدمة بالنسبة للكثيرين لأنها قامت بتعرية المشهد السياسي وإعادته إلى مكوناته الطائفية والمذهبية التي تعمل اغلب القيادات السياسية الى المواربة فيها. وهو على الرغم من القوة الاستنهاضية التي يتطلع إلى أن يمثلها خطابه في ظل الإنقسام السياسي الذي يشطر لبنان، فإنه حرص لفترة طويلة على ان لا يفعل ما يخالف القوانين ويحافظ على سلمية تحركاته والتي تركز على مسألة السلاح وهيمنة حزب الله على الدولة بحجة المقاومة والتداعيات الناجمة عنه.

إلا لان تدخل حزب الله العسكري والمكشوف في سوريا رفع من وتيرة خطابه ودفعه الى مواجهة سياسية مكشوفة معه، ترافق معها سعي الشيخ الأسير إلى تكوين نواة عسكرية لحركته، عبرت عن نفسها من خلال المشاركة رمزيا في معارك القصير ردا على مشاركة حزب الله . كانت هذه النواة العسكرية على بوابة الجنوب اللبناني بمثابة اللعب بالمحرمات بالنسبة لحزب الله ، لذلك بدأت خطوات لتطويق وحصر هذه الحالة وصولا الى القضاء عليها وهو ما حصل مؤخراً في (٢٣ و٢٤ - ٦- ٢٠١٣) حيث استدرج الشيخ الأسير إلى صدام دموي مع الجيش اللبناني انتهى بخروجه الغامض واحتلال الجيش لمراكزه ومصادرة أسلحته وسقوط عشرات القتلى والجرحى بين الطرفين [٦٣].

الخاتمة

تبدو التحديات السياسية آخذة بالتحول إلى أولوية لدى التيار السلفي الذي بدأ يتعاظم لديه الشعور بالخطر الوجودي، وهي تحديات دفعتهم أكثر من مرة إلى الاجتماع والتلاقي بهدف التوحّد وإيجاد آلية تنظيمية تجمع شتات الطيف السلفي المشرذم، وهي مهمة صعبة فقد جرت محاولات عديدة طيلة السنوات الماضية آلت غالبيتها إلى الفشل، أو في أحسن الأحوال كانت لقاءات ظرفية حول حدث معين وبهدف إطلاق موقف موّحد. مع ذلك لا تزال المساعي تبذل لإطلاق آلية تنظيمية مرنة يمكنها أن تستوعب هذه التعددية السلفية.

والواقع أن إطلاق "تيار أهل السنة" [٦٤] يمثل محاولة في هذا الإطار كما عبرت المجتمعون في بيان إطلاق تيارهم والذي جاء كضرورة ملحة لمواجهة محاولات "تهميش دور أهل السنة وإقصائهم". حدد البيان التأسيسي للتيار المبادئ والأهداف بصيغ مختصرة ضمن اثنا عشر بنداً من أهمها: إحياء وترسيخ القيم الإسلامية وتأكيد التعايش والتعامل على أساس العدالة مع شركائنا في البلد، وحماية حقوق أهل السنة في كل المجالات، وتحصين "ساحتنا" الداخلية وضمانتها من الوقوع في ممارسات وأعمال أمنية تسعى بعض القوى الخارجية والداخلية إلى افتعالها. التأكيد على أن مقاومة أشكال العدوان كافة حق

٦٢. في حديث على قناة الجديد اللبنانية بتاريخ ٢٠١٢/٦/٢٤.

٦٣. في آخر الإحصاءات سقط ما يزيد عن ٨٦ قتيل بينهم ١٨ من الجيش اللبناني و٦ من حزب الله و٦٢ من أنصار الأسير، وأكثر من ٢٧٠ جريح.

٦٤. أنظر المؤتمر الصحفي الذي عقد في نادي الصحافة اللبنانية بتاريخ ١٠ حزيران ٢٠١٣، والذي أعلن فيه إطلاق هذا التيار محدداً الشيخ سالم الرافعي أميناً عاماً له، ومعلناً أسماء مسؤولي مكاتب المحافظات: ربيع حداد (بيروت)، أحمد عمورة والشيخ نديم حجازي (صيدا)، والشيخين حسن عبد الرحمن، وعدنان إمامة (البقاع)، المشايخ زكريا المصري رائد حليحل حسن الشهال لقمان خضر (طرابلس).

إنساني وواجب شرعي لذلك "نؤكد استرداد أهل السنة زمام المبادرة للمقاومة المسلحة ضد العدو". أما الوسائل لتحقيق هذه الأهداف فحددها البيان بالطرق السلمية والسياسية والإعلامية والتنظيمية التي تؤكد سعيها "لتمثيل حقيقي لأهل السنة في لبنان وبث الوعي بينهم".

والواقع أنه فور الإعلان عن إطلاق التيار تسربت أخبار عن عدم رضى بعض الرموز السلفية على تشكيلة الهيئة العليا للتيار، وهذا ما عبر عنه الشيخ الدكتور حسن الشهال في بيان أصدره ينفي فيه أن يكون ضمن تركيبة مكتب الشمال للتيار، متسائلاً "كيف يمكن أن تعلن أسماء رؤساء المكاتب التنفيذية في المناطق قبل أن تعلن الهيئة العليا أو مجلس الأمناء؟ وكيف يجمع الشيخ سالم الرافعي بين رئاسة هيئة العلماء المسلمين وبين الأمانة العامة لتيار أهل السنة في الوقت نفسه؟ [٦٥].

تؤشر هذه الملاحظات على أن عملية توحيد السلفيين في لبنان ومحاولتهم تقليد التجربة المصرية (حزب النور وغيره) لا تزال تعترضها العديد من المشكلات والعقبات، والتي يمكن تجاوزها إذا ما نجح التيار الوليد في إطلاق دينانية سياسية متميزة في مواجهة التحديات التي تعترضه في لبنان، حتى ولو لم ينتظم في إطاره كل الطيف السلفي الجمعياتي والدعوي.

في الواقع يمثل الحديث عن خارطة التيارات السلفية في لبنان أكثر المواضيع إشكالية نظراً للربط بينها وبين المجموعات الإسلامية الجهادية، وهو في لبنان ربط سياسي غير بريء في غالب الأحيان، لجأت إليه الأجهزة الأمنية السورية منذ الصدام مع هذه المجموعات وما تلاها إثر أحداث الضنية من اشتباك مع الجيش اللبناني، حيث لم يعد هناك تدقيق طيلة تلك الفترة بين ما هو سلفي دعوي مسيَّس وسلفي جهادي، وجاءت بعدها تطورات حرب العراق وفتح الإسلام لتزيد الأمور تعقيداً، خاصةً وأن هذا التيار بالأساس غير موحد ويتألف من جمعيات ومعاهد دعوية ضعيفة التسييس، يختلف منهجياً وفكرياً عن التيارات الجهادية، وقد جرى توظيفه في سياق الانقسام الطائفي والمذهبي الحاد القائم في لبنان منذ اغتيال الرئيس رفيق الحريري، وصولاً إلى ظهور تنظيم فتح الإسلام للعلن في (٢٠٠٦/١٠/٢٤) والمثير للجدل في طريقة تمويله [٦٦].

وعلى وقع التداعيات التي أطلقتها الثورة السورية في لبنان، عاد ملف القاعدة ليطرح من جديد ولكن في سياقات أكثر تسيّساً، فظهر وزير الدفاع اللبناني، الذي ينتمي الى فريق ٨ آذار، ليؤكد وجود بؤر وتجمعات للقاعدة في شمالي لبنان والبقاع منسجماً بذلك مع خطاب النظام السوري والمذكرة التي رفعها مندوبه الى مجلس الأمن، والتي نفاها جملة وتفصيلاً وزير الداخلية اللبناني مطالباً إياه بالأدلة ليدخل على الخط بعد ذلك رئيسي لجمهورية والحكومة لينفيا ما ورد في تلك المذكرة.

خلاصة القول إن ملف القاعدة والسلفية الجهادية في لبنان شائك يشوبه الكثير من الغموض ويختلط فيه التسييس والتوظيف، فضلا عن التضخيم والتزوير، إلا أن السلفية الإصلاحية أو العلمية في عبورها نحو السياسة اللبنانية الشائكة تعرضت عبر مراحل عديدة إلى معوقات سلطوية وأمنية كبيرة، جعلت من هذا العبور مثقلاً بالكثير من التحديات والإلتباسات تركت أثراً بنيوياً على تركيبته وخبراته وخطابه وهو لا يزال يحاول حتى اليوم إزالتها.

---

٦٥. جريدة السفير اللبنانية (٢٠١٣/٦/١٢).

٦٦. وخاصة ما يتعلق بشاكر العبسي وطريقة إخراجه من السجون السورية وانضمامه إلى الجبهة الشعبية - القيادة المعروفة بعلاقتها القوية بالأجهزة السورية والتي من خلالها تسلل إلى لبنان ومن ثم إلى مخيمي البداوي ونهر البارد، ليعلن من هناك انقلابه واستيلائه على المخيمات، مما أدى فيما بعد إلى صدام دموي مع الجيش اللبناني استمر لشهور عدة. وقد أفضى الصراع إلى مقتل ٤٥٠ مدنياً وجندياً ومقاتلاً إسلامياً وتدمير المخيم الفلسطيني بشكل كامل والمناطق المحيطة به وترحيل ما يقارب ٦ آلاف أسرة وخسائر اقتصادية هائلة. أنظر تقرير قدمته الحكومة اللبنانية في مؤتمر المانحين في فيينا بتاريخ ٢٣ حزيران/يونيو ٢٠٠٨، وهو منشور في الدراسة التي أعدتها مؤسسة الأزمات الدولية (الطائفة السنية وتيار المستقبل) الصادر في ٢٦ أيار ٢٠١٠.

السلفية السورية. ثورة ودولة
أبرز التحولات والتداعيات

د. عبد الرحمن الحاج

رغم أن جذور السلفية ترجع إلى أكثر من قرن في سورية، إلا أنها سلفية كانت دوماً إما سلفية إصلاحية أو سلفية علمية كلاسيكية، ولم تظهر سلفية راديكالية إلا مع صدام الطليعة المقاتلة مع نظام الأسد الأب مطلع الثمانينيات، انتهت في وقتها مع هزيمة الطليعة المقاتلة ذاتها. غير أن سياسات النظام في السنوات العشر قبل الثورة كوَّنت أرضاً خصبة لانتشار السلفية الجهادية.

أولاً: السلفية عشية الثورة

كانت السلفية قبل الخامس عشر من آذار ٢٠١١ قد أخذت تلوينات مختلفة تعكس كل منها مرحلة ما من تاريخ سورية السياسي، يمكن للمرء أن يلاحظ بوضوح أربعة أشكال للسلفية السورية:

١. السلفية الإصلاحية الجديدة

السلفية التي تقبل بالعمل الديمقراطي أساساً بوصفه آلية سياسية لا بد منها، أو تؤمن به إيماناً أبعد من أن يكون فيه مجرد آلية، وإنما بنية تفكير . هنا لدينا ثلاثة نماذج مختلفة بعض الشيء:

الحركة السرورية، التي جمعت بين الحركية الإخوانية والسلفية الاعتقادية الوهابية، وبالرغم من زعيم السرورية يمكن أن يكون امتداداً للسلفية الإصلاحية الأولى، إلا أن السرورية التي لم يكن لها الكثير من الأتباع في سورية (عموماً أتباعها في درعا وريف دمشق) تمثل فعلياً بقايا حقبة التسلف الإخواني في السعودية، التسلف بمعناها الكلاسيكي، والتصور السياسي الإخواني المتمحور حول الهوية.

حركة العدالة والبناء، التي أعلن عن تأسيسها في لندن عام ٢٠٠٥، وبرزت كلاعب منافس بعض الشيء للإخوان المسلمين بين العام ٢٠٠٥-٢٠١٠، الحركة تبدو تطوراً عن الحركة السرورية بالتحديد، وتشكلت في البداية من أبناء الأخوان في الغالب، أو من أخوانيين منشقين أو سابقين، لكن الخبرة السياسية الضعيفة مع الصعود المفاجئ لها قلل من قدرتها على الاستفادة من الجذب بل حولها إلى حركة طاردة حين أدى هذا الصعود المفاجئ مع عوامل أخرى إلى تنافس سريع وقاس أدى إلى تفككها في نهاية المطاف بحيث قدمت إلى الثورة وهي بقايا حركة أكثر منها حركة، وهو أمر يفسر انعدام حضورها السياسي في الثورة على نحو لم يكن متوقعاً بالنسبة لنشاطها الذي كان في غالبه إعلامياً. في كل الأحوال فإن هذه الحركة السلفية تبدو كما لو أنها قطعت شوطاً في تطوير بنيتها الفكرية نحو الديمقراطية. وبالرغم من أن نصوصها التأسيسية ونظامها الأساسي لا يعكسان أي ملمح سلفي عقائدي إلا أن هذا كان بارزاً بشكل عام في قياداتها ومؤسسيها، والمواقف التي قامت بها الحركة. اهتمت الحركة مثلاً بالنشاط التبشيري الشيعي على نحو غير مسبوق، وقد دعمت الحركة أول دراسة علمية ميدانية عن

هذا النشاط (البعث الشيعي في سورية ١٩١٩-٢٠٠٧)، التي قام بها كاتب هذه السطور، ثم أقامت مؤتمراً صحفياً خاصاً أعلنت فيه نتائج الدراسة أثار اهتماماً اعلامياً واسعاً. نشأت الحركة وتكاد تكون منقطة عن تاريخ السلفية الإصلاحية السوية، قد يكون جزء من ذلك يرجع إلى تأثر مؤسسيها بالمناخ الفكري الغربي حيث نشأ العديد منهم.

بقايا السلفية الإصلاحية القديمة كانت قد أثرت في تفكير بعض الشيوخ والأفراد، لكنهم بقوا أفراداً متباعدين لا يربطهم تنظيم. في هذا الإطار يمكن الإشارة مثلاً إلى الشيخ معاذ الخطيب (إمام الجامع الأموي، ورئيس الائتلاف الوطني السوري) الذي حاول إعادة إحياء "جمعية التمدن الإسلامي" التي تمثل رمزاً للإصلاحية السلفية الشامية.

من الواضح أن الثورة قدمت بعد أن أصبحت السلفية الإصلاحية شبه محطّمة.

٢. السلفية العلمية أو التقليدية

السلفية العلمية التي نشأت مع الألبابي، كانت قد ازدهرت في الثمانيات والتسعينات بعد الأحداث الدامية ومجزرة حماة، وتأثرت بمناخ الفكر السلفي السعودي مع موجة اللجوء إلى المملكة فضلاً عن العمالة، تكاثر اتباعها، وبشكل خاص بين طلبة العلوم الدينية. لم يكن الألباني قادراً على الخروج من الانشغال السياسي بالرغم من أنه لم يمارس السياسة وكانت فتاويه تعكس بساطة في رؤية الأمور، لكن أحداً لم يكن يرى هذا الاهتمام السياسي أكثر من كونه اجتهادا فقهياً، وهو ما زاد في تعميق التوجه الديني الصرف لقضايا السلفية السورية ودفعها بشكل كامل نحو السلفية الوهابية التقليدية أو السلفية العلمية بمعناها الصرف.

لكن ممارسات النظام السوري وسياسات بشار الأسد الجائرة ضد السلفيين خلال عشر سنوات من حكمه أعادت الرباط ثانية بين السلفية والسياسية بشكل متزايد.

٣. السلفية الجهادية

كنت قد تناولت نشوء السلفية الجهادية في دراسات عدة، لكني أود هنا فقط أن أذكر خلاصتها، وهي أن ظروف متراكبة ومعقدة خلّقت السلفية الجهادية حرب الخليج الثانية، ثم أحداث البوسنة والهرسك والشيشان وأخيراً أحداث ايلول والحرب على الإرهاب ثم احتلال العراق وسياسات النظام المتقلبة والقاسية تجاه السلفيين (السجن للسلفيين لمجرد كونهم سلفيين!) مع خبرة العائدين من العراق مع إفساح مجال واسع وغير مفهوم للتبشير الشيعي يستفز المشاعر السنية لمعقل الأموية خلق رود أفعال متراكمة بلورت الجهادية السلفية كفكرة وليس كتنظيم. إلا أن ما يجد ملاحظته هو أن السلفية لم توجد أولاً، وإنما عبرت من فكرة الجهاد بذاتها، الذي كان يمثل التعبير الديني الاحتجاجي عن السياسة، ووجدت بطبيعة الحال في أدبيات الجهادية السلفية تعبيراً عما يختلج مشاعرها من إحباط وطريقاً لتحويلها إلى فعل.

٤. سلفيو الثورة اللاعنفيون

سبق وأشرت في دراسة سابقة أنه في الفرع السلفي العلمي في الأقلية القوقازية الشركسية برز تحول جديد نحو سلفية جديدة، لكنه لم يتبلور حتى مطلع الثمانينيات، وبقي محدود الانتشار في إطار جماعة قد لا يزيد عددها على أصابع اليدين، هو السلفية اللاعنفية، وربما لم يشهد الفكر الإسلامي

حتى هذا التاريخ حركة إسلامية فضلاً عن السلفية تقوم على رفض العنف كلياً بغض النظر عن مسمياته في المجال السياسي والاجتماعي. أعني هنا الشيخ جودت سعيد (١٩٣١) الذي ينتمي إلى الأقلية الشركسية، والذي كان قد بدأ يعمل منذ مطلع الثمانينيات على نشر فلسفته الإسلامية عن اللاعنف. ثمة أسباب عدة قادته إلى هذا التحول، يرجع جزء منها إلى أنه خبر معنى الاعتقال السياسي الذي تكرر معه مرات عدة إبان حكم البعث.

لم يكن بمقدور السلفية اللاعنفية أن تشكّل جماعةً تؤمن بأفكاره إلا في مطلع التسعينيات، في وقت كانت أحداث كبرى قد بدأت تعصف بالعالم، (سقوط الاتحاد السوفيتي) وبالمنطقة (حرب الخليج الثانية)، فكانت ثمة حاجة إلى فكر جديد. استطاع سعيد أن يملأ بعض الفراغ الرمزي الذي خلّفته حقبة الثمانينيات، إلا أن الجماعة ما لبثت أن بدأت تتفكك وتنحسر في نهاية التسعينيات تحت تأثير تصاعد الأحداث المحيطة بسورية والتي كانت تدفع نحو التطرف والتشدد. ومع ذلك، حافظت الجماعة على نخبة من التلامذة المعجبين بآرائه، وبشكل خاص في الأوساط النسائية عبر تلميذته النشطة الداعية "حنان اللحام" (التي تتزعم جماعة نسائية خاصة بها)، وصهره (خالص جلبي) أحد الكتاب والمفكرين الإسلاميين المعروفين، ومجموعة من الناشطين الملتفين حول الشيخ السلفي عبد الأكرم السقا في مدينة داريا. وبالرغم من أن شيخ الجماعة جودت سعيد لم يُبدِ أي تطلعات سياسية شخصية، في أي وقت من الأوقات، إلا أنه لم يخفِ رغبته بالتغيير السلمي للنظام السياسي.

كان سقوط بغداد مؤشر في تاريخ هذه الجماعة (التي يمكن ببعض الحذر استعمال هذا التعبير لها)، في قادتها وأتباعها ودخولها أعمق في المجال السياسي (حادثة اعتقال "مجموعة داريا" عام ٢٠٠٣)، فقد بدأ الشيخ جودت سعيد منذ ذلك التاريخ ينغمس أكثر في السياسة فقاد ذلك زعيمها إلى أن يكون أحد أبرز الموقعين على "إعلان دمشق للتغيير السلمي الديمقراطي" في تشرين الأول من عام ٢٠٠٥، وهو إعلان جمع المعارضة السياسية الحزبية والمستقلة، وأكمل عدد من تلامذته السير نحو المعارضة العلنية للنظام.

قامت الثورة وقد انفرط عقد الجماعة الهش، فقد تناثر أتباعها في أصقاع المعمورة في حين كان بعضهم قد أثرت فيه سنوات السجن وجعلته يتخلى عن فكرة اللاعنف بشكل كامل.

ثانياً: سلفيو الثورة

في الواقع ظهرت التنظيمات السلفية في الثورة السورية بشكل متدرج مع تصاعد العنف ضد المتظاهرين السلميين وبدء التسلح، مطلع ٢٠١٢. لكن أسباب ظهور السلفية هي في الواقع أكثر من ذلك، لم تشكل الثورة سوى البيئة الملائمة فقط، بحيث أن تحليل أي من الجماعات أو التنظيمات السلفية يعكس تلك الأسباب بالضرورة .

ترجع هذه الأسباب إلى السياسات الحكومية التي طُبقت على المنتمين إلى السلفية، بغض النظر عما إذا كانت جهادية أم لا، في موازاة رعاية أمنية وسياسية للتبشير الشيعي. إضافة إلى السياق الإقليمي الذي شهد تحولات كبرى منذ مطلع القرن الحالي.

كذلك تنحدر معظم الكتائب السلفية المسلحة من الريف والبادية التي عانت من تهميش النظام وإهمالاً في التنمية فضلاً عن نزوعها الفطري للمفاهيم البسيطة والقادرة على إعطاء تفسير حاسم وواضح للأمور وهو ما يوفره الفكر السلفي.

ولعبت الذاكرة الجمعية عن الثمانينات والقمع الوحشي الذي مارسه الأسد السوريين عموماً والإخوان خصوصاً دوراً مهماً في دعم ذرائع التوجه الجهادي قوية لمواجهة النظام بالقوة وباسم الدين.

١. مقاتلو صيدنايا

ما أن بدأ الشعور بأن الأمور بدأت تفلت من يده، حتى سعى النظام بكل قوة إلى عسكرة الثورة بوسائل شتى، منها بشكل خاص إطلاق جميع المعتقلين المتهمين بالسلفية الجهادية الذين كانوا قد وضعوا في سجن صيدنايا، بعض هؤلاء اكتسبوا خبرة من القتال في العراق، وآخرون اكتسوها من أفغانستان، أو من لبنان (جماعة نهر البارد). ومن الواضح بأن هؤلاء شكلوا شبكة علاقات خاصة داخل وخارج السجن بهم سرعان ما تم تفعيلها.

ووبعض التمحيص يمكن ملاحظة من الملاحظ أن معظم القادة الكبار للكتائب كانوا جزءاً من هذه الشبكة في العراق (مثل أبي محمد الجولاني وقادة الجبهات في النصرة، وبعض قادة لواء الإسلام وقادة أحرار الشام)، أو أفغانستان (مثل بعض قادة الطليعة المقاتلة)، أو لبنان (مثل قائد كتائب الزنكي)، وباستثناء قلة قليلة فإن قيادات الصف الثاني وبعض قيادات الصف الأول اعتُقلت في سجن صيدنايا العسكري بتهم تتعلق بالسلفية والسلفية الجهادية.

٢. جبهة النصرة

بينما كانت المظاهرات في أوجها في أواخر صيف ٢٠١١، قرر مقاتلون سوريون في دولة العراق الإسلامية التوجه نحو الريف الشمالي والجنوبي للاستطلاع، وانتهى الأمر بتقدير المآل إلى عسكرة الثورة، فتشكلت مجموعة من الكتائب الصغيرة أطلقت على نفسها اسم "كتائب النصرة لأهل الشام"، كان بين بعض عناصرها مقاتلون أجانب، وذلك بدعم مالي وعسكري من أمير دولة العراق أبي بكر البغدادي، وأعلنت عن نفسها في كانون الثاني/كانون الثاني ٢٠١٢.

بقناعتي أن جبهة النصرة، التي تعتبر النموذج الأهم لدخول القاعدة ونموها في البيئة السورية، تمثل بحد ذاتها تطوراً مهماً في تفكير الجهادية السلفية في نسختها القاعدية، إذ نلمح لأول مرة تركيزا على العمل المدني والإنساني أولاً والجهادي العسكري تالياً، بمعنى إيلاء بناء حاضنة اجتماعية للمشروع السياسي للقاعدة الأولولوية، يضاف إلى لك أن النزعة الإقليمية والاحتفاظ بطابع محلي للتنظيم لم يكن ظاهراً من قبل في هذا التنظيم العالمي ومنتسبيه، إلا أن هذا لا يلغي جوهر المشروع الأممي للنصرة والمطابق لما هو سائد في تنظيمات القاعدة، لكن تأثيرات هذا الاختلاف تظهر في أدائه على الأرض وفي تكتياته العسكرية وتحالفاته مع القوى الموجودة على الأرض.

لقد استفاد قادة جبهة النصرة من التجربة القتالية للدولة الإسلامية في العراق، والفشل الذي مُنيت به، فقد كان الجزء الرئيس من التحول الجديد يعود إلى تجربة العراق المرة، فقد أدت ممارسات تنظيم "دولة العراق الإسلامية" إلى خسارة الحاضنة الاجتماعية ونشوء بيئة معادية توجت بظاهرة الصحوات.

حتى الآن دخلت جبهة النصرة انعطافين مهمين:
الأول: عند إعلان الولايات المتحدة في ٥ كانون الأول/كانون الأول ٢٠١٢ وضعها على قائمة "الإرهاب"، ما أدى إلى انسحاب العديد من عناصرها من التنظيم، فقد فوجئوا بانتسابها للقاعة.

الثاني: عند إعلان أبي بكر البغدادي تبعية جبهة النصرة له، وإعلان "الدولة الإسلامية في العراق والشام"،. فق دفعت محاولة أبي بكر البغدادي استتباع جبهة النصرة وإلحاقها به إلى مسارعة قائد الجبهة إلى إعلان البيعة للظواهري تهربًا من هذا الاستتباع، فبرز انقسام حاد في صفوفها بين تياران: تيار يريد تأييد العمل المدني التدريجي لإقامة دولة إسلامية، وآخر يؤيد إقامة دولة إسلامية في الشام تمهيدًا للخلافة الإسلامية العالمية، وانشق أكثرية أعضاء هذا التنظيم إلى "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، وأخذوا معهم كميات هائلة من السلاح الذي غنموه في سورية، بحي أصبحت جبهة النصرة أضعف بكثير من قبل، وصارت مضطرة لجبر صفوفها بالتحالف مع الكتائب الأخرى القائمة على الأرض المختلفة أكثر.

تداعيات هذا الانقسام قد تعزز تمايز جبهة النصرة وتعميق خطها الجديد وربما توجهها المدني وكذلك النزعة المحلية أكثر ليس أقله بسبب ردة الفعل من تنظيم المنشقين عنها (الدولة الإسلامية)، خصوصاً مع الانطباع المتزايد بقسوة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام المفرطة.

يجدر التنويه إلى أنه باستثناء تنظيم شورى المجاهدين ليس هنالك تنظيمات ذات قيمة قريبة من فكر القاعدة أو ممارساتها.

٣. السلفيات الجهادية المحلية

تتميز هذه التنظيمات الجهادية بأمرين أنها أممية من حيث الجوهر، فهي تدعوا إلى الخلافة الإسلامية العالمية، لكنها، فباستثناء التنظيمات المشتقة من القاعدة تميل معظم التنظيمات والجماعات السلفية إلى مشروع وطني وأممية مؤجلة في الحد الأدنى، وهو أمر يمنح الأولوية لبناء الدولة كما أن الملامح السلفية الظاهرة على بعض التنظيمات لا تعكس سلفية متماسكة، فغالباً ما يكون مجرد أفكار فرضتها معارك الحرب اليومية، لكن التدقيق فيها يكشف عن سلفية رخوة قابلة للتفكك مع تغير الظروف. وعلى أية حال فالخارطة السلفية غير مستقرة، وهي تتغيير بعاملين: تطور الأحداث على الأرض، والخلافات التنظيمية بين الجماعات والتنظيمات.

النتائج الأولى لاستمرار انتشار السلفية الجهادية هو تحول بند تطبيق الشريعة إلى أولوية بمجرد انتهاء الحرب أولاً، وعرقلة بناء الدولة المدنية الديمقراطية. كما أن ارتباط السلاح بالدين والسياسة قد يؤدي إلى دور أكبر في الحياة السياسية للعسكر، وبالتالي تشجيع الانقلابات العسكرية.

إن مستقبل السلفية في سورية، والسلفية الجهادية على نحو خاص نفسها سيكون مرهوناً بمدى الاستقرار وترسيخ الدولة واستعادة الحياة المدنية.

تفاعلات سلفيي الأردن مع الربيع العربي والآفاق المستقبلية

أسامة شحادة

الدعوة السلفية في الأردن لها حضور كبير وواضح وخاصة بعد الصعود المدوى للسلفية في المنطقة العربية عقب ثورات الربيع العربي، وهو وجود تاريخي قديم منذ أن فتح الصحابة رضوان الله عليهم الأردن، وفي التاريخ المعاصر يرتبط الوجود السلفي بتاريخ نشأة المملكة الأردنية وبالملك المؤسس عبدالله الأول. ٦٧

ويمكن أن نقسم السلفيين في الأردن لغايات الدراسة إلى ثلاث مكونات رئيسية هي:
التيار السلفي العام والذي تمثله جمعية الإمام الألباني، وتيار جمعية الكتاب والسنة والتي تعد أول جمعية سلفية في الأردن، والسلفيون المستقلون؛ أما ما يسميهم الإعلام السلفيون الجهاديون فهؤلاء خارج نطاق الورقة.

وهذا التقسيم غير علمي ولا دقيق بسبب أن القواسم المشتركة أكبر بكثير من الفروقات وأن هناك حالة من السيولة العالية بين هذه المكونات بحيث تتلاشي الفروق الموضوعية بينهم ويبقي الفروق الشخصية.

السلفية في الأردن بالعموم لا تولي الشأن السياسي أولوية أو اهتماما لأسباب موضوعية وذاتية، لأن العملية السياسية لا تزال عملية هلامية لا تأثير حقيقيا لها في الإصلاح، ويفتقد طرفا العملية (السلطة والمعارضة) إلى مشروع حقيقي أو رؤية واضحة برغم انخراطهما الكلي في اللعبة السياسية، فما بالك بالسلفيين غير المهتمين أصلاً ؟

كما أن السلفيين في الأردن - بسبب طبيعة الرؤية - لا تعتبر السياسة من أولوياتها، فهي تنطلق من بناء الشخصية الإسلامية الفردية ثم تنطلق للأسرة والمجتمع ومِن خلال ذلك تتفاعل مع الشأن العام والدولة، ويلخص هذه الرؤية مقولة العلامة الألباني شيخ السلفيين الأول في الأردن: دعْوَتنا ثقّف ثم كتّل.

ولعل تجربة حزب النور في مصر توضح هذه الرؤية، فالحزب لم ينبثق من رؤية سياسية بل من رؤية دعوية علمية سلفية عبر عشرات السنين، فلما جاءت الفرصة والمناخ المجتمعي الملائم كان التفاعل مع السياسة أمراً سهلاً وناجحاً فوُلد حزب النور كبيرا وتخطى عشرات الأحزاب التي سبقته في النشأة والتكوين.

مفاجأة الربيع العربي

جاء الربيع العربي مفاجئاً للجميع ولا يزال لليوم تختلف الآراء حوله بحسب الفكر والدولة والموقف

٦٧. انظر: كتاب تاريخ الحركات الإسلامية للدكتور موسى زيد الكيلاني، ومقاله سلفيون وسياسيون، بالرأي ٢٠١٢/١٠/١١

والموقع الذي ينطلق منه المتحاورون حوله، ولذلك ليس من الغريب أن تضطرب ردة فعل السلفيين في الأردن على هذا الربيع.

وإذا استصحبنا مع هذا عدم وجود منظّرين ومفكرين سلفيين فإن تذبذب مواقف السلفيين وتناقضها وتصادمها يعد شيئا طبيعيا، وسوف تحتاج لوقت أطول لتستقر ويكون لها منطق واضح، وهذا سيجعل من الممارسة الفعلية هي المنتجة للتنظير مستقبلاً في حقيقة الأمر.

ويمكن أن نجمل موقف كل مكون من مكونات السلفية كما يلي:
١- جمعية مركز الإمام الألباني: بقي موقفها العام متوجس من الربيع العربي عموما، لأنها ترى فيه منازعة على الحكم وأن القائمين بالثورات هم من الحزبيين الإسلاميين والعلمانيين الغير مرحب بهم، وقد تغير هذا الموقف في ثورة سوريا التي لقيت منهم تأييد ودعم بسبب البعد الشيعي وعدم معارضة السلطات الرسمية لتأييد الثورة السورية.

وهم لا يزالون يرفضون الدخول بالانتخابات برغم أن الشيخ علي الحلبي والشيخ مشهور حسن هم أصدروا فتاوى ضد مقاطعة الإخوان للانتخابات، وهم رفضوا مبادرة البعض (د. شاكر عاروري) الانخراط في حزب (واعتصموا) بزعامة أحمد سلامة.

٢- جمعية الكتاب والسنة: برغم أن الجمعية والقائمين عليها لا يرفضون العمل السياسيى وأنهم رحبوا بالثورات العربية، إلا أنهم أثروا البقاء في المربع الدعوي والخيري، وعدم خلط ذلك بالعمل السياسي. وقد ركزت الجمعية على مساعدة اللاجئين السوريين حتى أصبحت في صدارة المؤسسات الأهلية القائمة بذلك.

٣- المستقلين: غالب المستقلين أيد الثورات العربية، وأصبح يؤمن بالتغيير وأهمية المشاركة السياسية، وقد تمت عدة محاولات لتكوين حزب سلفي، وهم متابعون لتطور الحالة السلفية في الخارج، ويمكن اعتبار مشاركة الشيخ إحسان العتيبي في مؤتمر النوازل السياسية بالدوحة الذي أقامته رابطة علماء المسلمين أيار ٢٠١٢ بورقة حول شرعية إنشاء الأحزاب.

إيجابيات الربيع العربي على سلفي الأردن:
لكن أحداث الربيع العربي أحدثت هزة في الأوساط السلفية ورفعت بعض الحواجز وأطلقت بعض المبادرات والمواقف التي لولا الربيع العربي لكانت تحتاج لسنوات كثيرة قبل حدوثها، ومن ذلك:
١- الموقف من الثورات العربية: تنوعت المواقف السلفية بين كل مكون من مكوناتها وأحياناً بين نفس المكون، وبعضها تنوعت مواقفه بين ثورة وثورة. وهذا بسبب المفاجأة كما سبق وغياب المنظرين، وبسبب سرعة تطور الأحداث وغياب النموذج السابق الذي يوضح ما يحدث.

ولعل في تطور موقف التيار السلفي العام وخاصة تيار الشيخ علي الحلبي من رفض الثورات وإدانة المشاركة السلفية بها إلى التأييد الخجول للقذافي إلى تبني الثورة في سوريا بكافة مستوياتها نقلة نوعية، وإن كانت بدون مقدمات منطقية ولكنها تعتبر نقلة في الاتجاه الصحيح، لقد استقر جميع السلفيين في الأردن على دعم الثورة السورية بسبب جرائم النظام البشعة من القتل والسجن والاغتصاب وبسبب خلفية النظام النصيرية وبسبب الهبة الشعبية الواسعة ضد النظام بخلاف أحداث حماة التي كانت هبة محصورة.

وقد نتج عن هذا سجالات داخل التيار السلفي ولكن ستحتاج إلى وقت لتتبلور منه رؤى جديدة.

٢- الموقف من الجمعيات والمؤسسات: كان هناك حالة من العزوف عن إنشاء الجمعيات والمؤسسات السلفية، إما بحجة أنها تنظيم والتنظيم حرام وأن الجمعيات شكل من أشكال الحزبية المنبوذة وهذا خطاب طلبة الألباني، وإما بسبب الحرص على السرية وتضخم الهاجس الأمني عند مقابليهم من (السروريين).

فكان لأحداث الربيع العربي بظهور أحزاب وائتلافات وتجمعات سياسية سلفية أثر في الإقبال على إنشاء الجمعيات والانخراط في الأعمال التطوعية والجماعية من مختلف المكونات السلفية.

٣- ترشح بعض السلفيين للانتخابات البرلمانية: تقدم بعض السلفيين بشكل فردي للنزول للانتخابات ٢٠١٣ الأصلية والتكميلية، وحظوا بدعم قطاعات سلفية محدودة، لكنها شكلت كسراً للحاجز، وإن كان سبق أن نزل عدد من السلفيين للانتخابات في مرات سابقة لكن تمت مهاجمتهم من قبل الجميع.

٤- محاولات لإنشاء حزب: من آثار الربيع العربي قيام عدة محاولات لمجموعات سلفية بإنشاء حزب سلفي، لكن لم تنجح هذه المحاولات بسبب عدم نضوج الوسط السلفي لهذه الدرجة وبسبب تدخلات رسمية أحبطت بعض هذه المحاولات.

٥- الانخراط في الشأن العام: كان للحراك الأردني دور في استفزاز السلفيين للتحرك وإبداء موقف مما يجرى على الساحة الأردنية خارج دائرة المسجد والفتوى، فرأينا الشيخ علي الحلبي رمز السلفية العامة يزور وزير الداخلية ووكالة الأنباء ومصابي الأمن العام وذلك عقب أحداث الزرقاء الشهيرة.

وكتب الحلبي مقالاً في ٢٠١٢/٢/١٦ عن حرمة إضراب المعلمين، ثم أصدر بيانا بخصوص رؤيته لحل الخلاف بين الحكومة والحراك الشعبي في ٢٠١٢/١١/١٥.

وقام الحلبي بزيارة وزير الأوقاف د.محمد القضاة على خلفية زيارته لبغداد ودعوته للسياحة الدينية الشيعية (٢٠١٣/٥/١٦)، وأيضاً شارك الحلبي الوفد الشعبي من الكرك والذي ضم سلفيين للقاء رئيس الوزراء د. عبدالله النسور بخصوص السياحة الدينية الشيعية بالكرك في ٢٠١٣/٥/١٨. وعند بعض السلفيين هناك نوع من حرق المراحل تجاه المشاركة الديمقراطية وإن كانت أدواتهم غير مكتملة.

٦- نمو الدور الإغاثي: كان من تأثيرات الثورة السورية نمو العمل الإغاثي السلفي بشكل كبير، حيث السلفيون هم الذين قاموا بالجزء الأكبر من الإغاثة بسبب دعمهم المطلق للثورة وعدم وجود حسابات حزبية أو مصلحية لهم من وراء هذا الدور، وقد ساعد هذا الدور على إكساب السلفيين خبرات كبيرة وعلاقات مهمة سياسية وإعلامية ودعوية. وبرهن على صفاء الرؤية السلفية بالتعاون مع الدولة والمجتمع بشكل شفاف دون أجندات خارجية أو حزبية ضيقة.

آفاق المستقبل:

- سيكون هناك دور جديد للسلفيين في المستقبل على عدة أصعدة لكن هذا يحتاج لمزيد من الوقت، وسيكون لتطور الحالة السلفية في الخارج تأثير كبير على السلفية في الأردن.

- مما سيساعد على اختصار الزمن والوقت ظهور قيادات شبابية جديدة تتمكن من تقديم رؤى واجتهادات ومبادرات جديدة. وهذا ليس بمستبعد. ولكن يعوزها الخبرة والتجربة التي تفتقر لها الحركة الإسلامية بعامة وليس السلفيون فقط.

- لم تتغير نظرة غالب السلفيين السلبية للديمقراطية وللصراع الإسلامي العلماني في مصر دور كبير في تعزيز النظرة السلبية للديمقراطية، وأن المطلوب هو تمرير العلمانية وفرضها بالديمقراطية وتتطويع السلفية لذلك عبر التبديل المستمر لمفهوم الديمقراطية من جهة، ومن جهة أخرى تكرار الحديث العلماني عن أن الشعوب العربية لا تصلح لها الديمقراطية في تمهيد لتحالف علماني عسكري يعيد إنتاج المشهد الاستبدادي السابق.

وحتى تتغير نظرة السلفيين للديمقراطية والعلمانية لا بد من أن تتطور المفاهيم العلمانية والديمقراطية نحو التصالح مع الإسلام (هوية الأمة والمجتمع) وتبني مواقف داعمة للحرية والكرامة والحق بدلا من الارتماء في أحضان الديكتاتوريين والمجرمين مثل بشار الأسد.

- لا بد من الانفتاح على السلفيين بدون اشتراطات مسبقة أو فرض أجندات عليهم. إذا كان هناك إيمان بالتعددية بشكل حقيقي.

- المحاولات لإخضاع السلفية واحتواؤها ستنتج كائنا مشوها لا قيمة له داخل التيار السلفي،، سواء كان هذا لصالح جهات رسمية أو علمانية أو إسلامية.

- السلفية لن تقبل أن تكون لاعباً جديدا لا قيمة له في المشهد كحال كثير من الأحزاب الكرتونية، وذلك لأن السلفية دعوة دينية علمية تعتبر السياسة جزءا منها وليس كل اهتمامها. ولا بد من إخضاع السياسة والواقع للدين وليس العكس. وهي ليست في عجلة من أمرها.

السيرة الذاتية للباحثين

محمد أبو رمان، الأردن

باحث متخصص في الفكر السياسي والحركات الإسلامية في مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية، حاصل على درجة الدكتوراه في فلسفة النظرية السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، والماجستير في العلوم السياسية من بيت الحكمة في جامعة آل البيت، كاتب في صحيفة الغد اليومية الأردنية. لديه العديد من الكتب والدراسات المنشورة، منها:الربيع السلفي: سؤال الشريعة والديمقراطية في النظام العربي الجديد، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣. الحل الإسلامي في الأردن: الدولة والإسلاميون ورهانات الديمقراطية والأمن ، مؤسسة فريدريش ايبرت و مركز الدراسات الاستراتيجية، عمان،٢٠١٢. مع الكاتب حسن أبو هنية. الإصلاح السياسي في الفكر الإسلامي (الشبكة العربية للدراسات والأبحاث، بيروت ٢٠١١).

أحمد زغلول شلاطة، مصر

باحث مصري في شؤون الحركات الإسلامية ، حاصل على بكالوريوس تجارة من جامعة المنصورة.عمل محرراً صحافيا في موقعي اسلام أونلاين www.islamonline.net ، وإسلاميون.نت www.islamyun.net كما عمل باحثا في مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية "سيداج" بالقاهرة. تركزت اهتماماته البحثية على مجالات الجماعات الإسلامية والإسلام السياسي المقارن وحالة التدين.

فتحي السعيدي، تونس

رئيس جمعية الخير الإسلامية في تونس، نائب رئيس المدرسة القرآنية "محمد صالح النيفر" بمدينة أريانة- تونس الصعيد المهني: رئيس مجلس إدارة "مكتب إسترلاب للدراسات والدراسات الاستراتيجية". مدير دار البيان للنشر والتوزيع في تونس. ووكيل شركة "أم الخير للتجارة الدولية". كما كان أستاذ سابق للرياضيات في فرنسا.

عبد الغني عماد، لبنان

دكتوراه دولة في سيسيولوجيا المعرفة والثقافة. يُدرس في معهد العلوم الاجتماعية والمعهد العالي للدكتوراه في الجامعة اللبنانية منذ العام ١٩٩٠. وهو رئيس المركز الثقافي للحوار والدراسات.

باحث متخصص في مجال الحركات الإسلامية، ويتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية منسقاً ومشرفاً لإنجاز مشروع موسوعي حول تاريخ الحركات الإسلامية في الوطن العربي، يشارك فيه نخبة من الباحثين العرب، وهو مشروع شارف على الانتهاء. لديه العديد من المؤلفات منها: اسلاميو لبنان، الوحدة والاختلاف على أرض المستحيل، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ٢٠١٢ . و الحركات الإسلامية في لبنان، اشكالية الدين والسياسة في مجتمع متنوع، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٦ .

عبد الرحمن الحاج، سوريا

عضو المجلس الوطني السوري، ومدرّس في الجامعة الإسلامية في ماليزيا، باحث متخصص في الدراسات الإسلامية والحركات الإسلامية والشأن السوري، وشارك في عدد كبير من المؤتمرات العالمية، من أبرز مؤلفاته "الخطاب السياسي في القرآن" (الشبكة العربية للدراسات والأبحاث)، و"الدولة والجماعة: التطلعات السياسية للجماعات الدينية في سورية (٢٠٠٠-٢٠١٠)" (مركز تواصل والأبحاث الاستراتيجية)، كما له العديد من الدراسات المنشورة وساهم في تأليف العديد من الكتب حول الإسلاميين وسوريا والدراسات الإسلامية.

أسامة شحادة، الأردن

باحث وكاتب في شؤون الفرق والحركات الإسلامية في العديد من الصحف والمواقع. كاتب اسبوعي بصحيفة الغد الأردنية و عضو مؤسس بجمعية الكتاب والسنة، الأردن ١٩٩٣. لديه العديد من المؤلفات منها: مقاصد القرآن، ملخص من كتاب "الوحي المحمدي" للعلامة رشيد رضا،٢٠٠٨. هدم من الداخل، الفرق المعاصرة واضعاف نسيج الأمة، ٢٠١٣.